

فائدة الدعاء مع القضاء والقدر

دكتور

أسماء حسن أبو عوف





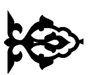

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية





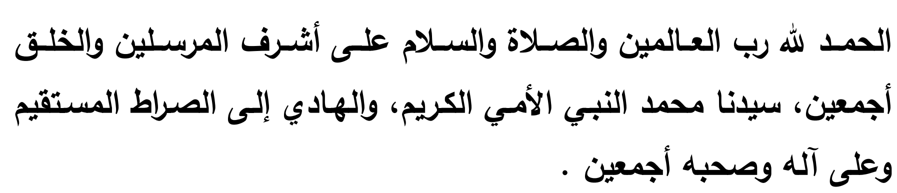

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة الدعاء مع القضاء والقدر

المقدمـــــة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والخلق أجمعين، سيدنا محمد النبي الأمي الكريم، والهادي إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين .

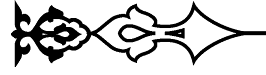
أما بعد ... .

هذا بحث في ركن في العقيدة لا يصح إسلام العبد إلا بعد الإيمان به وهو الركن السادس من أركان العقيدة الإسلامية التي حددها الرسول ﷺ عندما أجاب جبريل عن معني الإيمان ـ وهو بحق يعتبر من الأمور التي خاض فيها كثيرون، وتجادل فيها أتباع الدين الواحد لأنه يتعلق بأمر غيبي ـ فهي عقيدة القضاء والقدر ـ وأمرهما يبقى في عداد الغيبيات وقد فهم كثيرون الاستسلام للقضاء والقدر بأن يلزم العبد السكون والجمود حيث لا يأخذ بالأسباب، وهي الدعاء وفائدته مع القضاء والقدر في هذا الموضوع العقائدي .

وقد ترتب على هذا الفهم أن يلزم العبد الجمود ويهمل الدعاء والتضرع إلى الله تعالى لأن لسانه يردد ما شاءه الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن ! !

فهذا الموضوع الكتابة فيه خطيرة ودقيقة وتحتاج إلى عناية ؛ لأنها عقيدة القضاء والقدر ترتبط بصفات العلم والإرادة والقدرة، وهذا الارتباط يعني أنه: لا يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وآثارهما في مخلوقاته حتى يؤمن بسبق علم الله تعالى بكل شيء وكمال قدرته، ونفاذ مشيئته .

لذا وجدت عندي رغبة شديدة في الكتابة في هذا الموضوع لتوضيح صلة الدعاء بالقضاء والقدر، وهل الدعاء إلى الله يتنافى مع قضائه وقدره،



ولبيان عقيدة أهل السنة والجماعة فيهما، وأيضا لبيان رأي المخالفون لأهل السنة والرد عليهم .

وقد سلكت المنهج الاستدلالي والتحليلي واعتمدت على المصادر الأصلية كلما توفر لي ذلك وعدم إغفال الدراسات الحديثة في ذات الموضوع .

وقد جاءت خطتي لهذا البحث تشمل المقدمة وبها تقديم عن موضوع البحث وأهميته وسبب اختياري له (فائدة الدعاء مع القضاء والقدر) .

وقد قسمته إلى أربعة فصول تتضمن مباحث :

الفصل الأول : التعاريف والأدلة لمصطلحات البحث، ويشمل عدة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدعاء لغة واصطلاحًا .

المبحث الثاني : تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحًا .

المبحث الثالث : أدلة ثبوت القضاء والقدر في القرآن الكريم والسنة .

المبحث الرابع : الفرق بين القضاء والقدر .

المبحث الخامس : أدلة ثبوت الدعاء في القرآن والسنة .

الفصل الثاني : حكم الإيمان بالقضاء والقدر، ويتضمن عدة مباحث :

المبحث الأول : عقيدة القضاء مرتبطة بإرادة وعلم وقدرة الله تعالى .

المبحث الثاني : الرضا بالقضاء والقدر .

المبحث الثالث : نظرية السببية وعلاقتها بالقضاء والقدر .

المبحث الرابع : فوائد الإيمان بالقضاء والقدر .

الفصل الثالث : علاقة الدعاء بالقضاء والقدر، ويتضمن :

المبحث الأول : هل يجوز الاحتجاج بالقدر .

المبحث الثاني : الإنسان مخيَّر أم مسيَّر .

المبحث الثالث : المحو والإثبات .

الفصل الرابع : الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء، ويشمل :

١ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء .

٢ ـ المخالفون لأهل السنة والرد عليهم .




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الفصل الأول

التعاريف والأدلة لمصطلحات البحث

المبحث الأول : تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف الدعاء لغة :

مصدر من دعا يدعو دعاء ودعوة، أقاموا المصدر مقام الاسم تقول : سمعت دعاءً، كما تقول سمعت صوتًا، وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم : رجل عدل [(١)]، وقيل : هو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول : دعوت فلانًا أدعوه دعاءً، أي ناديته وطلبت إقباله وأصله دعاؤ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت [(٢)] .

وللدعاء في القرآن الكريم وجوه عدة كلها تدور حول المعنى اللغوي المتقدم نذكر منها :

١ ـ النداء يقال : دعوت فلانًا، أي ناديته وصحت به، قال تعالى : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [(٣)]، أي ننادي وقد يستعمل كل واحد من النداء والدعاء موضع الآخر، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [(٤)] .

---

(١) أفاده الخطابي ـ رحمه الله ـ شأن الدعاء ص ٣ .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة دعو (٢: ٢٧٩)، ولسان العرب لابن منظور باب الواو وفصل الدال .

(٣) سورة آل عمران آية ٦١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٧١ .



٢ ـ الطلب : يقال : دعاه، أي طلبه، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ [١]، أي تطلب أن يحمل عنها .

٣ ـ القول : قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا ﴾ [٢]، أي قولهم إذ جاءهم العذاب .

٤ ـ العبادة : قال تعالى : ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَـٰهًا ﴾ [٣]، أي نعبد .

٥ ـ الاستعانة : قال تعالى : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ﴾ [٤]، أي استعينوا .

٦ ـ الحث على الشيء : قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [٥]، أي حثهم على عبادة الله .

٧ ـ النسبة : قال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ [٦]، أي أنسبوهم.

٨ ـ السؤال : قال تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [٧]، أي سله .

٩ ـ الثناء : قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّـهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَـٰنَ ﴾ [٨] .

---

(١) سورة فاطر آية ١٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥ .

(٣) سورة الكهف آية ١٤ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٣ .

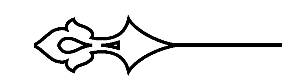
(٥) سورة نوح آية ٥ .

(٦) سورة الأحزاب آية ٥ .

(٧) سورة البقرة آية ٦٩ .

(٨) سورة الإسراء آية ١١٠ .





وغيرها من المعاني [1]، فتلك المعاني تشترك في الدعاء لغة، ولكن إذا أطلق لفظ الدعاء فيراد به الثناء على الله ـ سبحانه ـ أو الطلب منه ؛ لاشتهاره بهذا المعنى، وهو الحقيقة الشرعية، أما إذا اقترن به ما يدل على غير ذلك فيحمل معناه عليه، كأن تقول : ألا تدعو فلانًا بكنيته، فالمراد النداء أو التسمية وهكذا .

ثانيًا : الدعاء في الاصطلاح :

طلب الأدنى من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة [2]، ودعا العبد ربه

سبحانه وتعالى طلب العناية منه، واستمداده إياه المعونة [3]، ويقال : دعوت الله ادعوه دعاءً : ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير [4]، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [5] .

فحقيقة الدعاء ـ إذن ـ استشعار الافتقار إلى الغني، والحاجة إلى المغني، والذل بين يدي العزيز، والضعف بين يدي القوي جل في علاه،

---

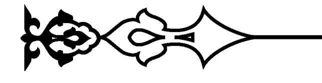
(١) يراجع في معنى الدعاء، الصحاح الجوهري دعا ٦: ٢٣٣٧، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس دعو (٢: ٢٧٩)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي دعا ٤: ٣٢٩، وفتح الباري ٩٤/١١، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٧٦ ـــ ١٧٧ .

(٢) عدة الداعي للشيخ أحمد بن فهد الحلي صـ ٩ .

(٣) تفسير الرازي ٥: ٩٧ .

(٤) المصباح المنير للفيومي ١: ١٩٤ .

(٥) سورة غافر آية ٦٠ .



مما يعطي العبد القوة الحقيقية ؛ لأنه موصول بالقوي المتين سبحانه وتعالى [١] .

وقال الخطابي [٢] : " إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ :" الدعاء هو العبادة" [٣]، وهذه العبادة هي أحد الأمور التي يصدق عليها مفهوم الدعاء اللغوي الواسع ـ كما تقدم ـ كما أن الصلة الاصطلاحية بين العبادة والدعاء ـ أيضًا ـ قائمة ؛ لأنهما يشتركان في حقيقة واحدة، هي إظهار الخشوع والافتقار إلى الله ـ تعالى ـ وهو غاية الخلق وعلته، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [٥]، فالدعاء والعبادة يعكسان الفقر المتأصل في كيان الإنسان إلى خالقه تعالى مع إحساسه العميق بالحاجة إليه ـ سبحانه ـ والرغبة فيما عنده .

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي صـ ٢٨ .

(٢) الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد بمدينة بست، كان فقيها محدثًا أديبًا، تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار وأبو جعفر الرزاز وغيرهما، ولد ٣١٩هـ، وتوفى ٣٨٨هـ . (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٣) .

(٣) جامع الترمذي " كتاب تفسير القرآن " باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم الحديث : ٢٩١٤ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٥) سورة الفرقان آية ٧٧ .

المبحث الثاني : تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحًا

للارتباط والتداخل فيما بين القضاء والقدر، كان لزامًا عليَّ أن أوضح تعريف كل منهما فيما يلي :

أولاً : تعريف القضاء لغة :

مصدر الفعل "قضى" يقضي قضاء وهو إحكام الشيء وإتقانه، وإلى هذا أشار ابن فارس [١] حيث قال : " القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته [٢] .

والقرآن الكريم مليء بذكر القضاء والقدر وتفاصيلهما، ونحن مأمورين بتدبر القرآن . ولذا سأوضح معنى القضاء بعدة معان كما وردت في القرآن الكريم .

ـ أولاً : القضاء في القرآن الكريم :

وردت مادة (القضاء) في القرآن الكريم في(٦٣) موضعًا تدور حول عدة معان منها:

١ ـ جاءت بمعنى الإرادة : قال تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣]، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [٤] .

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني الشافعي المالكي، ولد سنة ٣٢٩هـ، من مصنفاته : المجمل في اللغة، مقاييس اللغة، جامع التأويل في تفسير القرآن، توفى سنة ٣٩٥هـ، معجم المؤلفين ٢/ ٤٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٩٩)، وانظر أيضًا : لسان العرب (٦/ ٣٦٦٥).

(٣) سورة آل عمران آية ٤٧ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٦ .



٢ ـ وجاءت بمعنى الحكم : قال تعالى : ﴿ وَاللَّـهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [١]، ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ [٢]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٣] . ٣ ـ وجاءت بمعنى الخلق : قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [٤]، ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ [٥] .

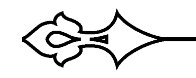


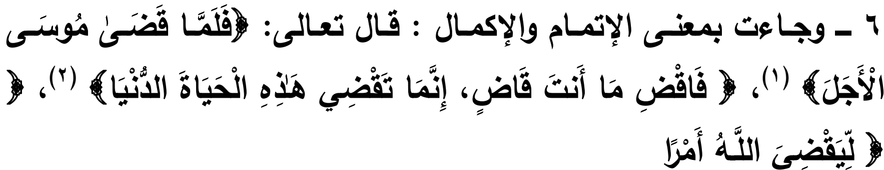
٤ ـ وجاءت بمعنى الأداء : قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ [٦]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [٧]، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّـهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ [٨] .

٥ ـ وجاءت بمعنى الإخبار : قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [٩]، ﴿ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾ [١٠] .

---

(١) سورة غافر آية ٢٠ .
(٢) سورة يونس آية ٤٧ .
(٣) سورة النساء آية ٦٥ .
(٤) سورة فصلت آية ١٢ .
(٥) سورة سبأ آية ١٤ .
(٦) سورة النساء آية ١٠٣ .
(٧) سورة الجمعة آية ١٠ .
(٨) سورة البقرة آية ٢٠٠ .
(٩) سورة الإسراء آية ٤ .
(١٠) سورة القصص آية ٤٤ .







٦ ـ وجاءت بمعنى الإتمام والإكمال : قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [١]، ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ، إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [٢]، ﴿ ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّـهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [٣]، ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾[٤]. ﴾[٤].

٧ ـ وجاءت بمعنى مات أو قُتل : قال تعالى : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [٥]، ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [٦]، ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [٧] .

٨ ـ وجاءت بمعنى التقدير والتحديد : قال تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [٨]، ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [٩]، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ [١٠] [١] .

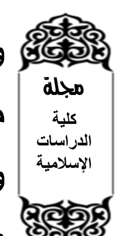
---

(١) سورة القصص آية ٢٩ .
(٢) سورة طه آية٧٢ .
(٣) سورة الأنفال آية ٤٢ .
(٤) سورة طه آية ١١٤ .
(٥) سورة القصص آية ١٥ .
(٦) سورة الزخرف آية ٧٧ .
(٧) سورة الحاقة آية ٢٧ .
(٨) سورة مريم آية ٢١ .
(٩) سورة مريم آية ٧١ .
(١٠) سورة الأنعام آية ٢ .



ثانيًا : تعريف القدر لغة :

القدر في اللغة كما قال ابن فارس في مادة "قدر" أن القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته " [٢]، والقدر محركة : القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله ـ عز وجل ـ من القضاء ويحكم من الأمور .



والتقدير : التروية، والتفكير في التسوية [٣] .

وجاءت كلمة القدر في القرآن الكريم بعدة معان، وفي مواضع كثيرة نذكر منها :

وردت مادة القدر في القرآن الكريم في (١٣١) موضعًا، تدور حول عدة معان منها:

١ ـ جاءت بمعنى العظمة والشرف : قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [٤]، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [٥] .

٢ ـ وجاءت بمعنى التضييق : قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [١]، ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدر ﴾ [٢]،

---

(١) انظر مادة (قضى) في : مفردات الراغب ص ٤٠٦ وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٢٧٦، ولسان العرب ٥/ ٣٦٦٥ ومختار الصحاح ص ٥٤٥ وترتيب القاموس ٣/ ٥٦٨ .

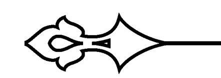
(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢ .

(٣) انظر : لسان العرب ٥/ ٧٢، والقاموس المحيط ٥٩١ (والفرق بين القدر والتقدير : أن التقدير يستعمل في أفعال العباد، ولا يستعمل القدر إلا في أفعال الله عز وجل (التعريفات للجرجاني صـ ١٧٤ حرف القاف، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري صـ ٣٢٨) .

(٤) سورة القدر آية ١ .

(٥) سورة الأنعام آية ٩١ .





﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [٣]، ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [٤] . ٣ ـ وجاء بمعنى العلم : قال تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [٥]، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [٦] .



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

٤ ـ وجاءت بمعنى القدرة : قال تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [٧]، ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [٨]، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [٩]. ٥ ـ وجاءت بمعنى المقدار : قال تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [١٠]، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [١١]، ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [١٢]، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٧ .
(٢) سورة الرعد آية ٢٦ .
(٣) سورة الفجر آية ١٦ .
(٤) سورة الطلاق آية ٧ .
(٥) سورة الحجر آية ٦٠ .
(٦) سورة المزمل آية ٢٠ .
(٧) سورة المرسلات آية ٢٣ .
(٨) سورة البلد آية ٥ .
(٩) سورة المائدة آية ٣٤ .
(١٠) سورة الطلاق آية ٣ .
(١١) سورة القمر آية٤٩ .
(١٢) سورة عبس آية ١٩ .





مَّعْلُومٍ ﴾ (١)، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢)، ﴿ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣) .

٦ ـ وجاءت بمعنى الاستطاعة : قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) .

٧ ـ وجاء القدر بمعنى التدبير : قال تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٥) (٥) .

٨ ـ وجاءت بمعنى القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ : قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٦)، ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (٧)، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ (٨)، ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (٩) (١٠) .

.

ثالثًا : تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح :

---

(١) سورة الحجر آية ٢١ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٨ .

(٣) سورة المرسلات آية ٢٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٣٤ .

(٥) سورة المرسلات آية ٢٣ .

(٦) سورة الأحزاب آية ٣٨ .

(٧) سورة القمر آية ١٢ .

(٨) سورة الواقعة آية ٦٠ .

(٩) سورة طه آية ٤٠ .

(١٠) انظر مادة (قدر) في مفردات الراغب ٤/ ٣٩٥، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٦٤٣، ومختار الصحاح ص ٥٢٣، وترتيب القاموس ٣/ ٥٠٣، ولسان العرب ٥/ ٣٥٤٥، ومعترك الأقران للسيوطي ٣/ ١٧٤، والمقاصد ٢/ ١٠٥ .

أولاً : عند الأشاعرة :

القضاء : إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال .

والقدر : إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص، ووجه معين، حسب علمه وإرادته.

فالقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال .

والفرق بينهما : أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها .

والقضاء عندهم من صفات الله الذاتية، والقدر من صفاته الفعلية : فالقضاء قديم، والقدر حادث .

ثانيًا : عند الماتريدية :

القضاء : إيجاد الله الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان .

والقدر : علم الله أزلا بصفات المخلوقات، وتحديده كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه .

فالقضاء عندهم من صفات الأفعال، والقدر من صفات الذات (١) .

ونميل هنا إلى رأي الماتريدية ؛لأن تفسيرهم للقدر بالعلم يناسب ما ورد في القرآن الكريم مما سبق ذكره، وعلى كل حال فالإيمان بالقضاء والقدر يتضمن عدة أمور :

- الإيمان بعلمه تعالى القديم بما سيكون قبل أن يكون .

- الإيمان بمشيئته العامة، وإرادته الشاملة لكل الموجودات .

- الإيمان بكتابته كل شيء في اللوح المحفوظ .

---

(١) انظر : شرح البيجوري على الجوهرة ٢/ ٢١، وشرح الخريدة صـ ٧٩، ٧٩، والتعريفات صـ١٥٢ والتمهيد للنسفي صـ ٢٢٥ .

ـ الإيمان بإيجاده تعالى لكل المخلوقات حسب علمه وإرادته وكتابته .

والقضاء والقدر متلازمان . يقول ابن الأثير :" المراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، فالقضاء والقدر متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والأخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه [1] .

وإذا كان القضاء والقدر متلازمين، فإن القدر أعم من القضاء . يقول الراغب : " القضاء من الله تعالى أخص من القدر ؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع . وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل .

وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر ـ رضي الله عنهما ـ لما أراد الفرار من الطاعون بالشام : أتفر من القضاء ؟

قال : أفر من قضاء الله إلى قدر الله .

تنبيهًا : أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له، ويشهد لذلك قوله : ﴿ وكان أمرًا مقضيًا ﴾، وقوله : ﴿ كان على ربك حتمًا مقضيًا﴾، ﴿وقضى الأمر﴾ أي فصل تنبيها أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه" [2] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٧٨ .

(٢) المفردات صـ ٤٠٦ .

المبحث الثالث : أدلة ثبوت القضاء والقدر في القرآن الكريم والسنة



إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن عظيم من أركان الإيمان دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة، والعقل، فلنذكر بعضًا منها :

أ ـ أدلة ثبوت القضاء في القرآن الكريم : منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (١) .

ومعنى الآية الكريمة: أن الله سبحانه وتعالى قدر أن يخلق خلقًا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابًا لأهل طاعته، وعقابًا لأهل معصيته، فلما قدره كتب ذلك وغيبه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم، وآجالهم وأعمالهم، فكان أمر الله الذى مضى وفرغ منه، وخلق الخلق عليه قدرًا مقدورًا (٢) .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّـهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (٣) .

ب ـ الأدلة من السنة :

لقد تضافرت الأدلة من السنة المطهرة على الإيمان بالقضاء والقدر (٤)، منها :

١ ـ ما ذكره النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور، ولا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر (٥)، روي مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال :

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٨ .

(٢) انظر : تفسير جامع البيان للطبري المجلد العاشر صـ ٣٣٦ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٢ .

(٤) انظر في ذلك الدين الخالص جـ٣صـ ١٦٦ وما بعدها .

(٥) عن عمر رضي الله عنه قال :" بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى

كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا : لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفنه أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر في شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال : فإذا لقيت أولئك

عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ! قال : أخبرني عن الإيمان، قال : " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكُتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال : صدقت. قال : فأخبرني عن الإحسان، قال :" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . قال : فأخبرني عن الساعة، قال : " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " . قال : فأخبرني عن أماراتها، قال : " أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ". ثم انطلق فلبثنا مليًا ثم قال : " يا عمر أتدري من السائل ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم، قال : " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله (١/ ٢٩٢)، رقم ٩٣، ومسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين رقم الحديث ٣٦٥ .

فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر [(١)] .

٢ ـ وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره شره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه " [(٢)] .

٣ ـ روي مسلم في الصحيح قال : " وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا أو كذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل " [(٣)] .

جـ ـ الإجماع :

فقد أجمع جمهور المسلمين على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر قال النووي [(٤)] : " وقد تضافرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة، وإجماع

---

(١) كتاب الإيمـــان ـــ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله مسلم (٨) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٢١٤٤)، وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون، وهو منكر الحديث، ولكن الحديث له شواهد تؤيده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٤٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٣٩) .

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر ـ باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم (٢٦٦٤) حكم المحدث : صحيح .

(٤) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي، أبو زكريا محي الدين من أهل نوي من قرى حوران جنوبي دمشق . علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، من تصانيفه المجموع شرح المهذب " ولم يكمله"،



الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف ـ على إثبات قدر الله سبحانه " (١) .

د ـ دلالة الفطرة :

الإيمان بالقضاء والقدر معلوم بالفطرة السليمة، ولم ينكره إلا الدهريون والزنادقة

والملحدون، وقد وقع اللغط في فهمهما، ولهذا قال ـ سبحانه وتعالى ـ عن المشركين ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّـهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ (٢)، فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا هو شأن من كان قبلهم (٣)، ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (٤) .

هـ ـ دلالة العقل :

العقل السليم يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة، إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره ؟ فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدَّره (٥) .

والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، توفى ٦٧٦هـ . انظر : النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥ .

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٥) .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٣) انظر : جامع البيان لابن جرير ٥/ ٧٩ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٥) انظر : الرياض الناضرة للشيخ عبد الرحمن السعدي صـ ١٩٤ .



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

المبحث الرابـــع : الفرق بين القضاء والقدر

لما كان التفريق بين القضاء والقدر مما لم يرد فيه قول ثابت بنص الكتاب والسنة، فقد اختلف العلماء في تحديد الفروق على أقوال عدة :

الأول : أن المراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه [١] .

الثاني : القول بالتوقف حيث امتنع التفريق بصريح الأدلة من الكتاب والسنة وعليهما المعول فيما من شأنه التوقف [٢] .

الثالث : أن يفرق بينهما، ولهم في توجيه ذلك الفرق عدد من الأقوال .

ـ منها ما أورده الحافظ ابن حجر [٣] ـ رحمه الله ـ بقوله : " القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله [٤].

ـ ومنها ما ذكره بعض العلماء، مـن أن القضاء هو ما يتحقق وقوعه، أما القدر هـو مما يمكن توقف إنفاذه، فيكون القدر بمثابة العلم الأزلي

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٨٦، وانظر أيضًا الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري صـ ٣٢٨ .

(٢) انظر : فتح الباري (١١/ ٤٧٧) .

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني الكناني، ولد في القاهرة ٧٧٣هـ من عائلة فلسطينية الأصل من قبيلة كنتنة بن خزيمة، حفظ القرآن في سن الثامنة عشر، وكان قاضي قضاة الشافعية، توفى في أواخر ذي الحجة ٨٥٢ هـ (موسوعة الأعلام لخير الدين الزركلى جـ١صـ ١٧٨) .

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٧٧) .

والقضاء المشيئة النافذة [١]، وقد ذهب الأشاعرة [٢] إلى توجيه آخر لذلك الفرق حيث ذكر في شرح المواقف : "أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره : إيجاده إياها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها" [٣].

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني صـ٤٠٧ (وهذا التفريق تبطله الأدلة التي دلت على أن كلا الأمرين قد يتغير فلا يقع، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة . أخرجه الحاكم في مستدركه : كتاب الدعاء، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٤٩٢/١، وأيضًا عن النبي ﷺ أن قال : " تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء " أخرجه البخاري : كتاب القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء . رقم الحديث (٦٦١٦) .

(٢) نسبة إلى الإمام على بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، ولد عام ٢٦٠هـ وقيل ٢٧٠هـ، ومات عام ٣٣٣هـ، وقيل ٣٢٤هـ، وقيل ٣٣٠هـ، وقد سكن في بغداد إلى أن توفى بها (انظر : تاريخ بغداد ص ٣٤٦ . ٣٤٧ طبعة الخانجي عام ١٩٣١م) وإذا كان الإمام الأشعري قد تتلمذ في مدرسة المعتزلة على أحد زعمائها أبي على الجبائي قبل أن يخرج عليها، فإنه وهو مؤسس الأشعرية قد تخرج في مدرسة كبار رجال المذهب (انظر : موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢١٣ وما بعدها يحيى هاشم فرغلي) .

(٣) السيد الشريف الجرجاني " الالهيات ص ٢٩٦ تحقيق د/ محمد المهدي .

والماتريدية [(١)] : فيعرفوا القضاء على مذهبهم : بأنه انقطاع الشيء وتمامه، وأما القدر، فهو عندهم على وجهين : أحدهما الحد الذي يخرج عليه الشيء، وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر .. . والثاني : بيان ما يقع عليه كل شيء من زمان ومكان [(٢)] .

(١) تنسب إلى الإمام أبي منصور الماتريدي الحنفي المتوفى (٣٣٣هـ) أحد رجلين يشار إليهم باعتبارهما رئيسي أهل السنة والجماعة في علم الكلام (مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة جـ٢صـ ١٥١ ــ ١٥٢ ـ مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ـ نشر دار الكتب الحديثة) .

(٢) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفي ٢/ ٧١٦ . (من الملاحظ أن تعريف القضاء لديهم يرجع إلى صفات الأفعال وهي قديمة لديهم كصفات الذات، وكذلك القدر فهو قديم لديهم لأنه يرجع إلى صفة العلم، أما القدر عند الأشاعرة يرجع إلى الإرادة، وهي من صفات المعاني القديمة، أما القدر عند الأشاعرة فهو إيجاد فيكون من صفات الأفعال الحادثة لديهم لذا فهو حادث (أنظر : في ذلك : نظرات في العقيدة الإسلامية د/ الأنور حامد عيسى ص ١٢٦ ـ ١٢٧) ولعل الأقرب ــ والله أعلم ــ أنهما إذا اجتمعا افترقا، بحيث لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة. وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذ أفرد أحدهما دخل فيه الآخر.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الخامس : أدلة ثبوت الدعاء في القرآن والسنة

أولاً : الأدلة القرآنيـة :

آيات الدعاء والدالة على الدعاء كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم منها : ـ الأمر بالدعاء صراحة : يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١)، وإن اختلف العلماء في المقصود من "الدعاء" في هذه الآية الكريمة، إذ أشار البعض إلى أنه بمعنى "العبادة" مستدلين بحديث رسول الله ﷺ "الدعاء هو العبادة" (٢) وقرأ قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكم ﴾ . وقد أكد هذا المعنى بعض المفسرين منهم ما رواه ابن جرير الطبري (٣) في تفسيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " إن عبادتي دعائي " ثم تلا هذه الآية الكريمة (٤) .

---

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي "كتاب تفسير القرآن" / باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم الحديث (٢٩٦٩) .

(٣) محمد بن جرير الطبري : هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (٢٤٤ـ ٣١٠هـ) مؤرخ ومفسر وفقيه، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات بصيرًا بالمعاني فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، وتوفى عشية الأحد ودفن في داره . (سير أعلام النبلاء للذهبي الطبعة ١٧ الجزء الرابع عشر) .

(٤) المجلد الثاني ص ١٦٧ ـ طبعة دار الكتب العلمية، انظر أيضًا مفاتيح الغيب للرازي المجلد الثالث عشر جـ٢٣ ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤ .

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الدعاء في الآية المذكورة أريد به حقيقته وهي الاستعانة بالله والتضرع إليه فهو كالحديث الشريف :" الحج عرفة" [1] أي أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم في الحج، ومن فاته الوقوف بعرفة فلا حج له، كذلك الدعاء هو أعظم العبادات وأفضلها وتفوت كل عبادة بفواته، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّـهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [2] .

ـ الأمر بالدعاء ضمنًا : ورد الأمر بالدعاء ضمنًا في أربع سور من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [3] قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [4]، وقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّـهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [6] .

ـ الأمر بالدعاء استنطاقًا للفطرة : مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّـهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّـهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [7]، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ

---

(١) الترمذي في الحج، باب : ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج رقم الحديث (٨٨٩) .
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٤) سورة النور آية ٣١ .
(٥) سورة الذاريات آية ٥٠ .
(٦) سورة التحريم آية ٨ .
(٧) سورة الأنعام آية ٤٠ .



يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (٢) .

ـ الأمر بالدعاء في سياق ما يجب توافره من شروط :

كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٣)، وكقوله تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٤)، وكقوله تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥)، وكقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (٦) .

ثانيًا : الأدلة من السنة :

١ ـ الأدلة القدسية :

حيث ورد ما قاله مسلم في صحيحه أن أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى الأشعري(٧) أن النبي ﷺ قال أن الله سبحانه وتعالى : يبسط يده بالليل

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٧ .

(٢) سورة النمل آية ٦٢ .

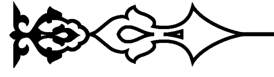
(٣) سورة الأعراف آية ٢٩ .

(٤) سورة الأعراف آية ٥٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٦) سورة الأنبياء آية ٩٠ .

(٧) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن الأشعر، لقب الأشعر لأنه ولد على بدنه شعر وهو إمام كبير، صاحب رسول الله ﷺ التميمي الفقيه المقرئ، قرأ على النبي ﷺ، وأقرأ أهل البصرة وفقهم في دينهم استعمله النبي ﷺ على اليمن وولى أمرة الكوفة لعمر رضي الله عنه، توفى بالكوفة وقيل بمكة سنة ٥٠هـ، وقيل غير ذلك (سير أعلام النبلاء جـ٢ص٣٨١) .



ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " [1] .

٢ ـ الأدلة النبوية :

والأحاديث المحمدية الشريفة في هذا المقام كثيرة جدًا، وجميعها مدللة على ثبوت الدعاء وقبوله إذا توافرت فيه مقوماته وسوف أذكر بعضًا منها:

ـ عن النبي ﷺ قال : " أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام " [2] .

ـ وحديث أنس عن الرسول ﷺ :" إن الله حي كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفرًا " [3] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :" إن لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة " [4] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٢١١٣/٤) رقم الحديث ٢٧٥٩ .

(٢) كتاب "الدعاء للطبراني ــ باب : ما جاء في العجز في الدعاء ــ رقم الحديث : ٥٤ ــ جامع الترمذي رقم الحديث ٣٥٠٨ (حديث قدسي) .

(٣) مسند أحمد بن حنبل "مسند العشرة المبشرين بالجنة، باقي مسند المكثرين من الصحابة رقم الحديث : ٧٢٦٨ .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٤٩ حديث رقم ٧١٢ عن طريق عمران القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة ودرجة الحديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٢) .

كما قال ﷺ :" ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم : "إذا نكثر " قال :" الله أكثر" [١] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الله سبحانه وتعالى يقول :" أنا عند ظن عبدى بي، وأنا معه إذا دعاني " [٢] .

وبعد أن عرفنا أدلة ثبوت الدعاء من القرآن والسنة بقسميها (القدسى والنبوى) يمكننا أن نذكر بعض أدعية الرسل من القرآن، ومنها :

ـ دعاء آدم عليه السلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٣] .

ـ وسيدنا نوح عليه السلام : ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [٤] .

ـ ومن أدعية سيدنا إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٥] .

---

(١) سنن الترمذي " كتاب الدعوات " باب في انتظار الفرج وغير ذلك رقم الحديث (٣٥٧٣) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب . رقم الحديث ٤٨٥٥ "قدسي" .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٣ .

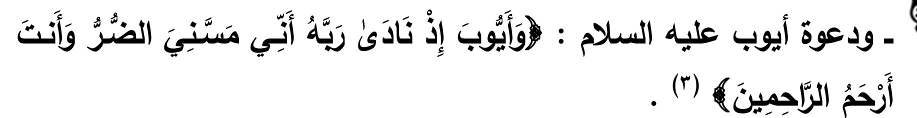
(٤) سورة نوح آية ٢٨ .

(٥) سورة إبراهيم آية ٤١ .



ـ وذا النون عليه السلام في قوله : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

ـ وزكريا عليه السلام في قوله : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢) .



ـ ودعوة أيوب عليه السلام : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣) .

ـ وعيسى عليه السلام حين قال : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّـهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٤) .

وهناك دعاء سيدنا رسول الله محمد ﷺ حين دعا ربه في بدر واستنصره متضرعًا إليه حتى سقط رداؤه (٥) فأنجز له الله تعالى ما وعده، وأمده بألف

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٨ .

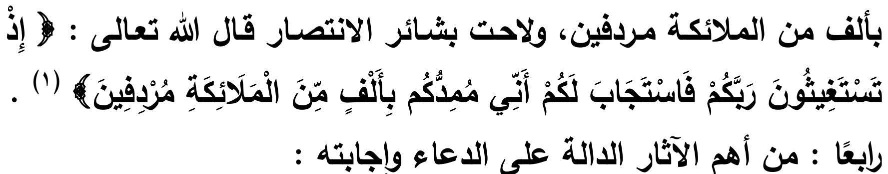
(٢) سورة الأنبياء آية ٨٩ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٨٣ .

(٤) سورة المائدة آية ١١٤ .

(٥) لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً استقبل نبي الله ﷺ القبلة. ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم إنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر . فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم لزمه من وراءه . وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك . فإنه سينجز لك ما وعدك) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم الحديث ٣٣١٥ .

بألف من الملائكة مردفين، ولاحت بشائر الانتصار قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) .



رابعًا : من أهم الآثار الدالة على الدعاء وإجابته :

ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحابه لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء، فإذا ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٣) .

ـ وعنه أيضًا قال : " إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه (٤) .

خامسًا : نماذج من أدعية الصالحين في القرآن :

منها: أصحاب طالوت حينما اشتد الفزع بهم لكثرة العدد والعدة في صف جالوت وجنوده دعوا الله متضرعين قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٥) .

ــ وأيضًا قول سحرة فرعون لما آمنوا : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الأنفال آية ٩ .
(٢) سورة غافر آية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٤) أورده الحافظ في الفتح ١١/ ١٤١ وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٢٩.
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٠ ــ ٢٥١ .
(٦) سورة الأعراف آية ١٢٦ .

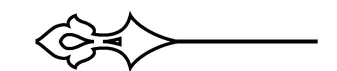
وإذا كانت هناك أدلة قرآنية وأدلة من السنة سواء قدسية أو نبوية على ثبوت الدعاء فإننا نجد ثبوت الدعاء بالفطرة أيضًا وذلك لأن علاقة الإنسان بربه علاقة فطرية متأصلة في نفس الإنسان، ولكل امرئ طريق من قلبه إلى خالقه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾ (١) .

والآيات في هذا الأمر كثيرة وكلها تدل على أن التوجه إلى الله تعالى في حال الشدة والاضطرار أصيل في فطرة الإنسان وطبعي في وجوده، وهذا خير دليل على فطرية أمر الدعاء .

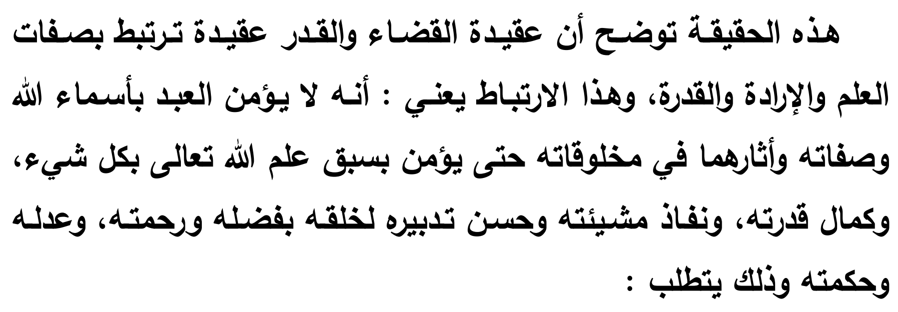
---

(١) سورة يونس آية ١٢ .

الفصل الثاني

حكم الإيمان بالقضاء والقدر



المبحث الأول : عقيدة القضاء مرتبطة بالعلم والإرادة والقدرة

هذه الحقيقة توضح أن عقيدة القضاء والقدر عقيدة ترتبط بصفات العلم والإرادة والقدرة، وهذا الارتباط يعني : أنه لا يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وأثارهما في مخلوقاته حتى يؤمن بسبق علم الله تعالى بكل شيء، وكمال قدرته، ونفاذ مشيئته وحسن تدبيره لخلقه بفضله ورحمته، وعدله وحكمته وذلك يتطلب :

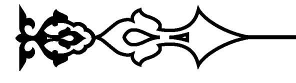
أولاً : إثبات صفة العلم[1] : والعلم صفة من صفات المعاني ذلك لأن إبداع الأشياء إنما يكون من العلم بحقائقها، فما من شيء في هذا الوجود بذراته ومجراته وبخيره وشره إلا وقد أحاط الله تعالى علمًا في الأزل . وقد اتفق على عموم علمه تعالى واستدل بالعديد من الآيات القرآنية الواردة في هذا السياق منها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [2]، وقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [3] .

---

١) هي صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به، من غير سبق خفاء (تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري ص ٤٣، وانظر أيضًا : المواقف للإيجي ـ الموقف الخامس ص ٢٨٧) .

(٢) سورة النساء آية ١٧٦ .

(٣) سورة يونس آية ٦١ .



فعلمه تعالى ذاتي، انكشف به كل الشؤون، وقد تناول هذا الكشف الواجبات والجائزات والمستحيلات [(١)] فلا يعزب عن علمه تعالى شيء منها ولا يقبل علمه سبحانه وتعالى التغيير بحال، فكل ما علم أنه سيكون، لابد أن يكون، وما علم أنه لا يشم رائحة الوجود لا يمكن بحال أن يشمها[(٢)] .

ويؤكد ذلك الإمام الغزالي [(٣)] إذ يقول :" إن الله تعالى عالم بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفًا به في أزل الأزل لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالتحول والانتقال " [(٤)] .

---

(١) والعلم بذلك يكون عام التعلق لجميع المعلومات وليس مختصًا ببعض دون بعض، وإلا لزم الجهل والترجيح بلا مرجح وكلاهما باطل (تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ محمد أمين الكردي الإربلي ص ٣٥)
.

(٢) انظر : شرح المواقف للشريف الجرجاني الموقف الخامس . تحقيق أحمد المهدي ص١٠٨ .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب (حجة الإسلام) زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، ولد عام ٤٥٠ وتوفى عام ٥٠٥هـ بالطبراني (قصبة طوس) (وفيات الأعيان جـ١صـ٥٨٨) .

(٤) كتاب الأربعين في أصول الدين ص ٨ ــ ٩ وانظر : المطالب العالية من العلم الإلهي جـ٣ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

ثانيًا : صفة الإرادة [(١)] : كذلك إرادة الله تعالى هي صفة من صفات الذات، الإيمان بها على أنها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر، وتتعلق الإرادة حصرًا بالممكنات تعلق تخصيص .

ومعلوم أن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه [(٢)]، ولولا التخصيص لكان من المحال وجوده ؛ لأنه يقبل المتناقضات ابتداء من الوجود والعدم، وانتهاء بالكم والكيف والزمان والمكان [(٣)] .

ومن الأمور الهامة المتعلقة بصفة الإرادة والخادمة لبيان حقيقة العلاقة بين الدعاء والقضاء وحل ما زعم من وجود إشكال فيما بينهما، كون الإرادة في كتاب الله نوعان :

أ ـ بمعنى الإرادة الكونية : أي التي تقابل الأمر الكوني والقضاء والقدر، فهي الإرادة التي يتم بها الأمر الكوني والقضاء والقدر، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ [(٤)] .

---

(١) الإرادة في اللغة : بمعنى القصد، ويراد منها المشيئة (راجع تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيجوري ص ٧٨) والإرادة في الاصطلاح عند المتكلمين هي صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة (راجع المواقف الموقف الخامس ص ١٤٨ وما بعدها، ٢٩١، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني جـ٢ص ٣٣٧) .

(٢) انظر : شرح المقاصد للتفتازاني جـ٤ ص٢٧٤ .

(٣) راجع : تحفة المريد على جوهرة التوحيد إبراهيم البيجوري ص ٤١ .

(٤) سورة الزمر آية ٣٨ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

فالأفعال والأقدار التي تصيب العباد وتحدث في الكون فتسبب لهم الآلام أو غيرها إنما هي بإرادة الله، وهي نافذة لا مرد لها ما دام الله سبحانه وتعالى أرادها . فهي إذا إرادة كونية نافذة والمراد بها جبر مطلق على العباد ؛ حيث لم يجعل الله تعالى للعبد قدرة على الخروج والتمرد عليها بحال من الأحوال، فهي لا تتعلق بأفعال العباد الاختيارية التي هي تكليف والجزاء إلا من حيث أنه تعالى شاءها أن تكون أزلاً كذلك فكانت بيانًا لإرادته (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

فالمراد لله سبحانه إما إيجاد من عدم أي خلق، وإما قضاء أي تغيير أحداث بمخلوقات موجودة من قبل مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّـهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ (٣) إرادة الله إذا هو قدره حيث يقول : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ (٤) إرادة الله سبحانه وتعالى هنا هو مراد كوني وهو خلق أو قضاء أو قدر بالمعنى الكوني لها جميعًا قال تعالى : ﴿ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥)، وهو القائل : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٦) .

ب ـ المعنى الثاني للإرادة فهي الإرادة الدينية الشرعية :

---

(١) عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائري ص ٣٥٤ .
(٢) سورة المائدة آية ١٧ .
(٣) سورة الرعد آية ١١ .
(٤) سورة الكهف آية ٨٢ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٣ .
(٦) سورة البروج آية ١٦ .

وهي التي تقابل الأمر الابتلائي التخييري التشريعي كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) .

أي أن الله بتشريعه وأوامره ودينه التخييري الابتلائي لهم يريد لهم الآخرة، وهذا المراد من الله لا يمكن أن يكون مرادًا كونيًا نافذًا وإلا لما وقع المؤمنون فيما وقعوا فيه من خطأ، وإنما ذلك يعني أن الله تعالى أراد أن يفعل المؤمنون كذا ولكنهم فعلوا خلاف ذلك . ومثل ذلك قوله سبحانه لنساء النبي ﷺ آمرًا أمرًا تشريعيًا ابتلائيًا بإرادة تشريعية ابتلائية كذلك ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢) .

فهنا أيضًا إرادة تشريعية تكليفية تخييرية لابتلاء الإنسان، وليست إرادة كونية نافذة (٣)، وكقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٤) .

إنه بدون التفرقة بين الأمر الكوني والأمر الابتلائي، وبين القضاء الكوني والقضاء الابتلائي وبين الإرادة الإلهية الكونية والإرادة الابتلائي سيكون الأمر غامضًا متناقضًا

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٧ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣ .
(٣) انظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية جـ٣صـ ١٦ـ١٨ .
(٤) سورة البقرة آية ١٨٥ .

، وبالتفريق بينهما جميعًا سيكون الأمر واضحًا جليًا [(١)]، هذه الفروق ما يلي :

١ ــ الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها، فالكونية مرادفة للمشيئة، والشرعية مرادفة للمحبة .

٢ ـ الإرادة الكونية قد يكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس ـ مثلاً ـ وسائر الشرور، لتحصل بسببها محاب كثيرة، كالتوبة، والمجاهدة، والاستغفار . أما الشرعية فمقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها .

٣ ـ الإرادة الكونية لابد من وقوعها، كإحياء أحد أو إماتته، أو غير ذلك . أما الشرعية كالإسلام فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين [(٢)] . فهذه الإرادة ـ أي الشرعية ـ هي المذكورة في مثل قول الناس لمن فعل القبائح هذا ما لا يريده الله .

---

(١) راجع في ذلك : مدارج السالكين جـ٢صـ١٤٠، وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤ .

(٢) انظر : شفاء العليل لابن القيم ص ١٠٥ ــ ١٠٦، وص ٥٨٥ ــ ٥٨٦ .

ثالثًا : إثبات صفة القدرة [1] : يجب الإيمان أيضًا بصفة القدرة بكونها من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر ؛ لأن مجال القدرة : الإيجاد والإعدام والإمداد، لذا لا تتعلق إلا بالممكن سواء كان كليًا أو جزئيًا جسمًا [2] أو عرضًا، ويشمل ذلك ماله سبب كأفعالنا الاختيارية من حركات وسكنات عند وجوب السبب وهو تعلق القدرة الحادثة بالمقدور على وجه المصاحبة وكالإحراق عند مماسة النار، والشبع عند الأكل ويشمل أيضًا ما لا سبب له كالسموات والأرض فلا تأثير لغيره تعالى في شىء ما ودليلها القرآنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [3] .

مما سبق يتبين بأن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بصفات العلم والإرادة والقدرة، فكل ما كان وما يكون وما سيكون إنما هو بخلق الله وبعلمه الذى لا يتغير، وبإرادته التى لا يغلبها مغالب . إذ هو القاهر فوق عباده، فجميع

(١) القدرة لغة : بمعنى القوة والاستطاعة، وضدها العجز . واصطلاحًا : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه، على وفق علمه تعالى وإرادته . (انظر: أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن حسن اللقانى مع شرحها تحفة المريد ص ١٣٨ القسم الأول) وقد اختلف في مفهوم القدرة بين المتكلمين، راجع قضية الألوهية عند المتكلمين د / حامد على الخولى ص ٧٨ .

(٢) لأنه هو القابل للإيجاد والإعدام، أما الواجب والمستحيل فلا تتعلق بهما ؛ لإنهما إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه، لأنه لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده، لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل، وأن تعلقت بالمستحيل، فعلى العكس من ذلك (أرجوزة جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقانى، القسم الأول ص ١٣٩) .

(٣) سورة فاطر آية ٤٤ .



الخلائق مقهورون بقدرته ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [1] . وما ذلك إلا لعموم علمه وإرادته وقدرته [2] .



(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(٢) انظر : تنوير القلوب، لمحمد أمين الكردى ص ٤١ .

المبحث الثاني : الرضا بالقضاء والقدر

إذا كان المسلم مأمورًا بالإيمان بقضاء الله وقدره، فهل يستلزم ذلك الرضا بكل ما قضى الله وقدر، ومنه الكفر والمعاصي والآثام والشرور ؟

١ ـ من العلماء من يرى أن المؤمن ليس مطالبًا بذلك لأنه لم يرد نص بذلك، يقول (ابن تيمية) رحمه الله : "ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضي مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها، فهذا أصل يجب أن يعتني به، ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به، فليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٣)، وذكر الرسول هنا يبين أن الإيتاء هو الإيتاء الديني الشرعي، لا الكوني القدري .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا) (٤) .

وينبغي للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبًا، مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل أو أذى الخلق له ؛ فإن الصبر على المصائب واجب، وأما الرضا بها فهو مشروع، لكن هل هو واجب أو

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

(٢) سورة محمد آية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة آية ٥٩ .

(٤) أخرجه مسلم (٣٤) .



مستحب ؟ على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم، أصحهما أنه مستحب ليس بواجب .

ومن المعلوم أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وقد أمرنا الله أن نأمر بالمعروف، ونحبه ونرضاه، ونحب أهله، وننهي عن المنكر، ونبغضه، ونسخطه، ونبغض أهله، ونجاهدهم بأيدينا وألسنتنا، وقلوبنا، فكيف نتوهم أنه ليس في المخلوقات ما نبغضه ونكرهه " [١] .

٢ ـ ويذكر الباقلاني رحمه الله جوابًا آخر فيقول :" إنا نرضى بقضاء الله في الجملة على كل حال .

فإن قالوا : أفترضون الكفر والمعاصي التي هي من قضاء الله ؟

قيل لهم : نحن نطلق الرضا بالقضاء في الجملة، ولا نطلقه في التفصيل لموضع الإبهام، كما يقول المسلمون كافة على الجملة : الأشياء لله، ولا يقولون على التفصيل : الولد لله، والصاحبة والزوجة والشريك له، وكما نقول : الخلق يفنون ويبيدون ويبطلون، ولا نقول : حجج الله تغني وتبطل وتبيد في نظائر هذا من القول الذي يطلق من وجه، ويمنع من وجه [٢] .

٣ ــ ويروي ابن القيم رحمه الله أنه يجب الرضا بالقضاء الديني، أما القضاء الكوني فهو نوعان : نوع يجب الرضا به، ونوع لا يجب الرضا به .

يقول ابن القيم : " الحكم والقضاء نوعان : ديني وكوني : فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به، كالنعم التي يجب شكرها، ومن تمام شكرها الرضا به، ومنه ما لا يجوز الرضا به،

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ١٩٠ .

(٢) التمهيد ص ٣٢٧ .



كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله، وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يتسحب الرضا به كالمصائب، وفي وجوبه قولان .

هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي، وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقديره، ومشيئته، فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وإلها ومالكًا ومدبرًا، فبهذا التفصيل يتبين الصواب، ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة [1] .

٤ ـ ويذهب سعد الدين التفتازاني إلى أن الواجب هو الرضا بالقضاء لا بالمقضي، وبالقدر لا بالمقدر، يقول رحمه الله : " والرضا إنما يجب بالقضاء دون المقضي" [2] .

لكن ألا ترى أنه لا معنى للرضا بالصفة إلا الرضا بآثارها .

هذا إذا نظرنا إلى صدور الفعل من الله عز وجل .

وتوضيح ذلك أن القضاء له جهتان :

الجهة الأولى : كونه فعل الله، ومنسوب إليه سبحانه وتعالى وهو من هذه الجهة كله خير وعدل وحكمة، فإذا نظرنا إلى هذه الجهة . فإننا نرضى بالقضاء كله .

الجهة الثانية : كونه فعل العبد اختيارًا واكتسابًا، وهو من هذه الجهة ينقسم إلى قسمين : قسم نرضي به، وقسم لا نرضى به .

فكفر الكفار، ومعصية العصاة، إذا نظرنا إلى ذلك من حيث كونه بقضاء الله وقدره، ولابد من وجوده في العالم ؛لأنه من آثار الأسماء الحسنى، ومستلزمات الصفات العليا، فإننا نرضى به .

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٢٧٨ط الحسينية .

(٢) شرح المقاصد ٢/ ١٠٥ .



وإذا نظرنا إلى جهة صدور الكفر والمعصية من العباد، فنحن لا نرضى به، وهذا ما نراه في مسألة الرضا بقضاء الله وقدره، والله أعلم .



المبحث الثالث : نظرية السببية وعلاقتها بالقضاء والقدر

قاعدة الأخذ بالأسباب وربطها بمسبباتها :

الإيمان بالقضاء لا ينافي الأسباب، فإن الأسباب من قدرة الله سبحانه وتعالى، وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أعظم وأجل صفاته .

لذا سأحاول جاهدة بقدر المستطاع أن ألقي الضوء عليها ليتضح لنا عقيدة القضاء والقدر، فسوف أبين أولاً تعريفًا للفظ الأسباب، ثم الآراء في ارتباط الأسباب بالمسببات .

أولاً : تعريف الأسباب : جمع سبب وهو كل حادث رتب الله تعالى عليه أثرًا [١] .

وهي نوعان : أولهما الأسباب القدرية : وهي كل حادث مؤثر بقضاء الله وقدره . ومن مثلتها قوله تعالى : ﴿ اللَّـهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [٢]، فجعل الرياح سببًا لإثارة السحاب الذي يكون به الغيث، وكجعل الماء سببًا للحياة، والنار سببًا للإحراق .

ثانيهما : أسباب شرعية : وهي كل فعل مطلوب من العبد، وهو ما رتب الله عليه ثوابًا أو عقابًا، فهو سبب شرعي بهذا الاعتبار، وهو سبب قدري باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره [٣] .

ثانيًا : الآراء والأقوال في ارتباط الأسباب بالمسببات :

---

(١) انظر : التعريفات للشريف الجرجاني ص١٢٠، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٦٤ .

(٢) سورة الروم آية ٤٨ .

(٣) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم جـ١ ص ٥١٨ .





منـــذ نزول الوحي على الرسول الكريم ﷺ سنجد المسلمين على عقيدة واحدة وهي أن كـل ما يحدث فـي الكون إنمـا هـو من خلق الله تعالى وتأثيره وفقًا لإرادته وقدرتــه تعالى [١]، وقــد آمــن المسلمون بها بناء علـى علمهم أن القـــدرة هـي أخص وصـف لله تعالى، ولاستمدادها من القرآن الكريم [٢]، كما في قوله تعالى : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَــاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائــِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [٣] .

وبـلا شك فقد كـان لهـذه الآيـة ومثيلتها الأثـر الكبيـر علـى عقيـدة المسلمين الأوائـل ـ سواء من الصحابة أو التـابعين أو تـابيعهم ـ فـأمنوا جميعًا أن الله سبحانه وتعالى بقدرته وأمره هو السبب الحقيقي لكل صغيرة وكبيرة تحدث في العالم [٤]، ولكن لم يستمر هذا الأمر كثيـرًا لعوامل عديدة حيث وجدنا الفرق الكلامية انقسموا في هذا الشأن إلى أربعة آراء .

---

(١) انظر في ذلك : الفرق الإسلامية في الميزان د/ يحيى هاشم فرغل ص ٩ وما بعدها .

(٢) لا توجد آيات عديدة يظهر فيها التقابل بين الإلـه الحق والآلهة الباطلة التي كان النـاس يعبدونها قبل الإسلام، وتبين الآيات أن الإلـه الحق هو الذي يملك القدرة على الخلق والإيجاد، بينما الآلهة الباطلة عاجزة ليس لديها أي قـــدرة قـــال تعـــالى : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾** سورة الأعراف.

(٣) سورة عبس الآيات ٢٥ : ٣٢ .

(٤) انظر : نظرية السببية في الفكر الكلامـي الإسلامي د.عبد العزيز سيف النصر ص٦ ـ ٧ .



الأول : طائفة أنكروا تأثير الأسباب بنفسها : وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها وهم الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري (١) إذ ينفون الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات كما قال الفلاسفة (٢) ويؤكد ذلك الإمام الغزالي إذ يقول :" أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببًا، وما يعتقد مسببًا ليس ضروريًا عندنا (٣) وذهبوا إلى أن الأسباب لا تأثير لها، وإن كان الظاهر يوحي بغير ذلك، وأن المؤثر هو الله سبحانه وتعالى ثم جعلوا تلازمًا عاديًا بين الأسباب والمسببات، أي يمكن أن يتخلف وذلك حتى يصح الإيمان بالمعجزات ولتوضيح الأمر وبيانه قالوا بأن النار تحرق لكنها ليست هي المؤثرة بل الله . سبحانه هو المؤثر الحقيقي بأن خلق الاحتراق، وهذا ما دعي الإمام الغزالي إلى القول :" فما

---

(١) هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن موسى الأشعري صاحب الأصول والقائم بنصره مذهب أهل السنة وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وكان أولاً معتزليًا ثم انخلع عن مذهب الاعتزال، قال ابن حزم له خمسة وخمسون تصنيفًا وتوفى سنة ٣٣٠هـ (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٦ ـ ٨٧، والأعلام ٥/ ٦٩) .

(٢) حيث يرون بأن هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة (انظر : تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي ص ١٧٦) إذ نجد ابن سينا يذهب إلى القول بأن هناك ضرورة حتمية تلف الكون كله وتحيطه ولا تسمح بأن يقع شيء أو حدث أو فعل في الكون إلا بمقتضى العلل الطبيعية المتواترة المعروفة لهذا الشيء (انظر : ابن سينا رسالة في سر القدر ص ٣ وما بعدها من كتاب الإشارات والتنبيهات جـ٣، والفارابي في السياسات المدنية ص ١٨ من رسائل الفارابي .

(٣) تهافت الفلاسفة ص ١٧٦ .

الدليل على أنها الفاعل ؟ وليس لهم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندنا، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها (١) . كما أردف قائلاً :" أن الحادثات كلها جواهرها وأعراضها الحادثة منها في ذات الأحياء والجمادات واقعة بقدرة الله تعالى، وليس يقع من بعض المخلوقات ببعض، بل الكل يقع بالقدرة (٢) . كما يقول ابن حزم (٣) : ذهبت الأشعرية إلى إنكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر، ولا في الثلج برد، ولا في العالم طبيعية أصلاً (٤)، وعرف من قولهم أيضًا استحالة أن يكون لشيء من العالم تأثير البتة في أثر ما ومن يقول ذلك ـ لديهم ـ فهو كافر مشرك، لما يلزم عليه من خروج ذلك الأثر عن قدرة الله وإرادته، وذلك يوجب أن يغلب

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٧ (والغزالي هنا استنادًا على هذا المثل يرى أن النتيجة التي انتهى إليها هي حق بالنسبة لكل الحوادث المتتابعة في الطبيعة) .

(٢) الإمام الغزالي الاقتصاد في الاعتقاد ص ٦٠، وانظر أيضًا : كتاب التمهيد للقاضي أبو بكر الباقلاني ص ٥٢ ـ ٦٨ تحقيق د/ الخضيري، د/ أبو ريدة .

(٣) هو الإمام الأوحد ذو الفنون والمعارف، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد أبو محمد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله منكبًا على العلم . (سير أعلام النبلاء جـ١٨ صـ١٨٤) .

(٤) الفصل في الملل والنحل جـ٥ صـ١٤ ـ ١٥ .

الحادث القديم وهو محال فلا أثر إذا لقدرة المخلوق في حركة ولا سكون ولا طاعة ولا معصية ولا في أثر ما على العموم لا مباشرًا ولا تولد (١) .



الرأي الثاني : خالف هذا الاتجاه بعض المتكلمين من المعتزلة فاثبتوا السببية في الأشياء الطبيعية، وقالوا بتأثير الأشياء بعضها في بعض (٢)، ونجد من الذين أثبتوا السببية اثنين من المعتزلة هما "النظام" (٣) و"معمر"

---

(١) شرح العقيدة الوسطى، محمد بن يوسف السنوسي ص ٨٠ (والتولد الوارد في النص عند المعتزلة هو الفعل الصادر من الفاعل بوسط، ويقابله المباشرة وهو الفعل الصادر بلا واسط وقد لجأوا إليه لأنهم أسندوا أفعال العباد إليه وهذا باطل عند الأشاعرة لاستناد جميع الممكنات إلى الله ابتداءا . انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٤٢٧ " ومذهب الأشاعرة هذا قد وجد له أنصار في الفلسفة الحديثة، وقال به فلاسفة كبار لهم شأنهم عند العلماء التجربين المحدثين، وقد قرروا أن السبب إنما هو ظاهرة تقترن بالشيء، وليست هي علة وجوده، ومهمة العلم الآن هي وصف الظواهر المقترنة، وليس مهمته أن يصل إلى العلل ولا سيما العلة الأولى كما كانت تفعل الفلسفة قديمًا ومن هؤلاء (دافيدهيوم) الذي انتهى إلى أن فكرة السببية باطلة، وأنها لم تكتسب ما بها من قوة إلا بالعادة وحدها وتكرارها فاهتدى إلى مسمى السببية (انظر: قصة الفلسفة الحديثة د/ زكي نجيب محمود وأ /أحمد أمين ص ٢٣٧ ـ ٢٤٠ .

(٢) انظر : المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار المجلد الأول ص ٣٨٠ .

(٣) هو إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى أبو اسحاق من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة وانفرد بآراء خاصة، تابعته فيها فرقته المسماه "النظامية" وكان يميل للطبيعيين، وعنه أخذ الكعبى مذهبه في الإرادة . (طبقات المعتزلة لابن المرتضى صـ ٤٩، الفرق بين الفرق للبغدادى صـ١٣١) .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

[1] أما معمر من خلال ما قرره مؤرخو الفرق نستنتج مذهبه بأن الأشياء الطبيعية بها قوة تأثيرية في بعضها البعض. بحيث توجد أشياء لم تكن موجودة من قبل فيقول البغدادي [2] عنه : "إنه يقول: إن الله تعالى لم يخلق شيئًا من الأعراض، من لون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر، وأنه لم يخلق شيئًا من صفات الأجسام [3] ويؤكد ذلك صاحب الملل والنحل إذ يقول : "أن الله لم يخلق شيئًا غير الأجسام أما الأعراض، فإنها من اختراعات الأجسام، إما طبعًا كالنار التي تحدث الإحراق والشمس الحرارة، والقمر التلوين، وإما اختيارًا كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق[4]. و"النظام" انتهى به الأمر أيضًا إلى القول بوجود طبيعة في كل جسم، وهذه الطبيعة هي السبب في كل الحوادث والمتغيرات في العالم، وأصل هذه الطبيعة أن الله تعالى قد بثها في

---

(١) وهو أبو عمر معمر بن عباد السلمى، تفرد بمذاهب وهو من القدرية، وكان يميل لمذهب الفلاسفة ومن تلاميذه عيسى بن صبيح المرداء، وانفرد عن أصحابة بمسائل منها الأجسام والأعراض وكلام الله، الحركة والسكون . توفى سنة ٢١٥ هـــ ـــ ٨٣٠ م . انظر سير أعلام النبلاء جـ٧ صـ٢٧٢ .

(٢) هو الإمام المحدث المتقن صاحب التصانيف الجليلة والآثار المنيرة تتلمذ على جهابذة عصره وعلماء وقته ... الشيخ عبد القاهر البغدادى، وكان من العلماء البارعين، وأحد الشافعية في عصره، وهو صاحب كتاب الفرق بين الفرق . (انظر : سير أعلام النبلاء جـ١٨ صـ ١٦٩) .

(٣) الفرق بين الفِرق ص ١٥١

(٤) الشهرستاني جـ ١ ص٦٥، أنظر أيضًا : الانتصار للخياط ص ٨٠، ومقالات الإسلاميين للأشعري جـ٢ ص٢٢٧ .

الأجسام وقت خلقه للعالم [١]، وقد أضاف أنها خاضعة لسيطرة الله تعالى وإرادته .

من ذلك نجد أن المعتزلة كفرقة لم تكن على قول واحد في هذا الشأن، حيث نجد جمهورهم مع الأشاعرة في أن الله تعالى هو السبب المباشر لكل الحوادث في العالم، من أجسام أو أعراض قائمة بالأجسام، وأنه لا توجد علاقة سببية بين الحوادث المتعاقبة في العالم الطبيعية .

أما "النظام" ـ من المعتزلة ـ الذي يقول أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية التي بثها الله ـ تعالى ـ في العالم وقت خلقه، وهي خاضعة لسيطرة الله وإرادته، بينما نجد قول ثالث "لمعمر" الذي يرى أن العالم محكوم بواسطة قوانين السببية وبالرغم من أن الله تعالى هو الذي خلق العالم، فإنها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته . ومن هنا بدأ الغلو في إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها .

أما "ابن حزم" على الرغم من إثباته للسببية بين الأشياء الطبيعية نجده يعارض "معمر" فيما ذهب إليه إذ يقول :" فمن نسب إلى ما يظهر منها أنها أفعالها مخترعة لها، فهو في غاية الجهل وبالضرورة نعلم أن تلك الأفعال خلق غيرها فيها، ولا خالق ها هنا إلا خالق الكل، وهو الله لا إله إلا هو [٢] .

القول الثالث : الذين أثبتوا للأسباب تأثير في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودع الله تعالى فيها من القوى الموجبة، وبعد مشيئة الله وإذنه الكوني والقدري .

---

(١) انظر: الإنتصار للخياط صـ٧٦،وانظر أيضًا ابن حزم: الفصل في الملل والنحل جـ٣صـ٥٨

(٢) الفصل في الملل والنحل جـ٥صـ ١٦ .

وفعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر فإن الله ـ تعالى ـ أمرنا أن ندفع السيئة وهي من قضائه وقدره بالحسنة وهي من قضائه وقدره[1] ونصوص الكتاب والسنة حافلة باتخاذ الأسباب[2] المشروعة في مختلف شؤون الحياة منها : قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [4] .

ومن الأحاديث :

روي الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب وعن الصحابة رضوان الله عليهم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بِسَرِغَ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ لي الأنصار، فدعوتُهم فاستشارهم فسلكوا

---

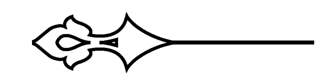
(١) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ٢/ ٦٢٩ .

(٢) إذا أورد الحافظ ابن القيم كثير من أنواع ربط الأسباب بمسبباتها من خلال القرآن الكريم (انظر شفاء العليل ص ٣١٦ ــ ٣١٧، ومدارج السالكين جـ٢ ص ٣٩ وما بعدها .

(٣) سورة الجمعة آية ١٠ .

(٤) سورة الأنفال آية ٦٠ .





سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال : ارتفعوا عني، ثم قال : ادعُ لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس : إني نصبح على ظهرٍ فأصبحوا عليه . قال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ ! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ـ هذا هو الشاهد على أن كل شيء بقدر الله ـ فجاء عبد الرحمن بن عوف، كان متغيبًا في بعض حاجته، فقال : إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله يقول :" إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه) . قال : فحمد الله عمر ثم انصرف [(١)] .

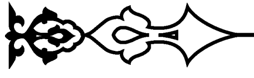
كما أمرنا سبحانه وتعالى باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه كالصلاة

والزكاة والصيام والحج وحياة الرسولﷺ وأصحابه والسائرين على نهجهم كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب والاجتهاد فيها، ولهذا تحركوا وعملوا وانطلقوا في كل المجالات، حتى استطاعوا أن يكونوا دولة الإسلام الفتية في أقصر مدة من عمر الزمن[(٢)] . وقال رسول الله ﷺ :" .. . ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال :"اعملوا فكل ميسر " أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب، باب ما ذكر في الطاعون (٥٧٢٩) ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة (٢٢١٩) .

(٢) نظرات في العقيدة الإسلامية د/ محمد الأنور ص ١٣٣ .



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة [1]، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [2] فدل هذا الحديث على أنه لا يترك العمل اتكالاً على القدر، وإنما يجب الجد والاجتهاد، وكذلك دل على أنه ليس لأحد أن يحتج بالقدر على فعل المعاصي وترك الطاعات، فمن الذي اطلع على ما كتب قدرًا ليعلم أنه كتب عليه هذا أو ذلك ؟ وإذا كان لم يطلع على ما كتب فهل له أن يحتج بالقدر على فعله ؟ ! لذا فالكل مأمور بفعل الطاعات، ومنهي عن فعل المعاصي وكل ميسر لما خُلق له، ولكلا الحالتين الأسباب، ولذلك قرأ النبي ﷺ الآية الكريمة السابقة [3] .

ويؤكد ذلك ابن القيم [4] رحمه الله إذ يقول : اتفقت الأحاديث الواردة في هـذا

الباب على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد، والعبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه، ومكن منه، وهيأ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله(١٣٦٢)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧) .

(٢) سورة الليل الآيات ٥ : ١٠ .

(٣) انظر : تفصيل ذلك في الجامع لأحكام القرآن لابن العربي جـ٤ص ١٩٤٤، وشرح السنة للبغوي جـ ص ١٣٣ .

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد القرشى التميمى البكرى، فقيه حنبلى، محدث ومؤرخ، ومتكلم، ولد في بغداد ٥٠٨هـ (سير أعلام النبلاء جـ٢١، ١٩٢/٣٦٥).

أم الكتاب، وكلما زاد اجتهادًا في تحصيل السبب كان المقدور أدنى إليه .. . وذلك كمن قدر له الشبع والري فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب، وذلك شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطل العمل اتكالاً على القدر السابق، فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالاً على القدر، وقد فطر الله عباده على الحرص على الأسباب التي بها مراد معاشهم ومصالحهم الدنيوية، بل فطر على ذلك سائـر الحيوانات فهكذا مصالحهم الأخروية في معادهم [١]، ويكفي الإنسان أن ينظر في القرآن الكريم ليتأكد بنفسه من دعوة الحق سبحانه وتعالى له إلى الأخذ بالأسباب والعمل إذ يقول عز من قائل : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [٢]، كما يؤكد ذلك خاتم المرسلين بقوله : " ما أكل عبد طعاما قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده" [٣] .

وأن العمل المذكور في تلك الأدلة : هو الأخذ بالأسباب والابتعاد عن التواكل والسلبية . وقد أخطأ البعض حينما فهم معنى التوكل هو ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب وعليه فقد عطل كل مدركاته الحسية والعقلية وسكن سكون الجماد، معللاً ذلك بأن كل شيء مـن الله وإلى الله، وظن هـذا الصنف من الناس أنهم بذلك قد وصلوا إلى الكمال المطلق في عبوديتهم لله سبحانه، وفي الحقيقة هذا الصنف أقل حالاً من الحيوان، إذ غريزة الحيوان تدفعه إلى الحركة والسعي والتوجه إلى ما ينفعه والبعد عما يضره، أي أن الحيوان مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، ولو

(١) شفاء العليل : ص ٥٦، وانظر أيضًا : مدارج السالكين جـ ٢ ص٨٧ .

(٢) سورة الملك آية ١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع ــ باب كسب الرجل وعمله بيده ٣/ ٧٤ .

كان التوكل كما فهموه، لما أمر الله به أنبياءه، وما مدح الله المتصفين به وأثنى عليهم [1] كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [2] .

القول الرابع : غلاة الصوفية : الذين ذهبوا بناء على عقيدتهم الفاسدة في القول بوحدة الوجود إلى أن يستوي عندهم الخالق والمخلوق، العلة والمعلول، السبب والمسبب، الرتبة والمرتبة، فبالتالي لا وجود لديهم بالقول بالسبب أو غيره [3] .

وفي نهاية عرض تلك الحقيقة : قد تبين أنه اقتضى عدله سبحانه وتعالى وحكمته وعلمه أنه يرتب خروج الأشياء على الأسباب، فكلما أخذ الفرد بالسبب الذي وجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته وإرداته كلما وصل إلى النتيجة [4] ثم الرضا الكامل بها مهما كانت حتى لو خرجت على غير ما نتمنى، إيمانًا منا بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتصديقًا لقول الرسول ﷺ :" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

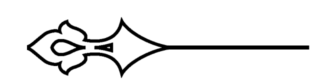
---

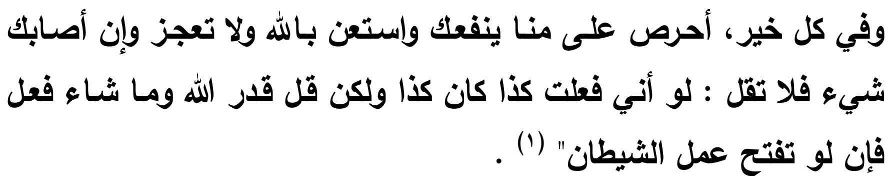
(١) راجع في ذلك : الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص ٢١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٩ص ٣٠٩ .

(٢) سورة الطلاق آية ٣ .

(٣) راجع الفتوحات المكية جـ٣ ص٤٥٢، وجـ٤ ص ١٠٠ .

(٤) إذ أنه قد ينعقد السبب التام ولا يقع مسببه إذا شاء الله عدم وقوعه، وذلك كما فعل في عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام حيث وجدت النار المحرقة ولكن انعدمت المشيئة الإلهية وسلب سببيتها فانعدمت فاعليته وهذا الأمر يبطل ما يلزم به الأشاعرة أهل السنة من أن إثبات التلازم بين الأسباب والمسببات يفضي إلى إنكار النبوات الثابتة بمعجزات الرسل (أنظر: إعلام الموقعين لابن القيم جـ١ص ٥١٩ : ٥٢٠ .

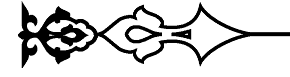




وفي كل خير، أحرص على منا ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" [1] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر ــ باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤) .




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الرابع : فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

لقد كان إيمان المسلمين بعقيدة القضاء والقدر سببًا في تقدمهم في جميع مجالات الحياة، حتى سادوا الدنيا كلها في مدة وجيزة أشبه ما تكون بالأحلام، ويوم أن ضعف الإيمان بعقيدة القضاء والقدر تأخر المسلمون، وأصبح حالهم على ما نراه الآن .

هذه حقيقة لابد من الإلمام بها، والانتباه إليها، والوقوف لدراستها .

إن إيمان المسلم بان ما شاء الله كان، وما قدر فعل، وإيمانه بتحديد الآجال، وضمان الأرزاق، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها إن إيمانه بذلك دفعه إلى الإقدام والشجاعة، والجرأة والبسالة، فكان المسلمون رهبانًا في الليل، فرسانًا بالنهار، لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها !!

قيل لقتيبة بن مسلم : إنك توغلت في أرض الترك، والأيام على جناح طائر، فقال : بثقتي بالله تقدمت، وإذا انتهت المدة، لم تنفع العدة !!

إن إيمان خالد بن الوليد بالقضاء والقدر هو الذي جعله يحقق هذه البطولات العظيمة، وهذه الانتصارات الضخمة في مدة قصيرة، تشبه المعجزات، فلا مجال للخوف أو الجبن، أو الفزع أو الحزن فقول الحق : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) . كان شعاره .

ورغم هذه الجسارة الفريدة من ابن الوليد لم يمت وسط المعارك، إنما مات على فراشه وهو يردد قولته المشهورة :" لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم،

---

(١) سورة التوبة آية٥١ .

أو طعنـة بـرمح، وهأنـذا أمـوت علـى فراشـي حتـف أنفـي، فـلا نامـت أعـين الجبناء " [١] .

٢ ـ وكان لعقيدة القضاء والقدر الأثر الواضح في نبوغ علماء المسلمين فـي فـروع العلـم المختلفـة، فلـم يمنـع المسـلم مـن أن يغـامر ويلاحـظ، وأن يجـرب ويختبـر، ويقضـي السـاعات الطويلـة فـي المعامـل، ووسـط الأجهـزة والمخـابر، ليكتشـف سـنن الله فـي كونـه بعزيمـة قويـة، لا تعـرف التـردد، لإيمانه بأن أمر المؤمن كله خير ؛ كما قال ﷺ : (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له) [٢] .

وكانـت نتيجـة ذلـك أن ظهـر أمثـال : (جـابر بـن حيـان) فـي مجـال الكيميـاء، فهـو أول مـن استحضـر حـامض الكبرتيـك، واكتشـف حـامض النتريـك، والصـودا الكاويـة، واسـتخدم ثـاني أوكسـيد المنجنيـز فـي صـناعة الزجاج .

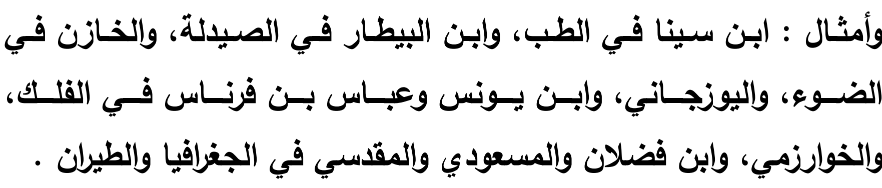
وأمثال (الحسن بن الهيثم) أستاذ البصريات الذي ألف في الرياضة خمسة وعشرين كتابًا، وفي الطبيعة أربعة وأربعين كتابًا .

وأمثال (البيروني) الذي يقول عنـه المستشرق الألمـاني سخاو: "البيرونـي أعظم عقلية عرفها التاريخ، فقد كان أديبًا متعمقًا في الرياضيات، والفلك، والتاريخ" .

---

(١) السيرة النبوية للشيخ عبد المقصود نصار، والشيخ الطيب النجار ٤/ ٧٠ .

(٢) رواه مسلم في الزهد ٤/ ٢٢٩٥ .



وأمثال : ابن سينا في الطب، وابن البيطار في الصيدلة، والخازن في الضوء، واليوزجاني، وابن يونس وعباس بن فرناس في الفلك، والخوارزمي، وابن فضلان والمسعودي والمقدسي في الجغرافيا والطيران .

وأمثال : موسى بن نصير أول من اخترع الدبابة، وابن خلدون المؤرخ الذي أسس علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد .

٣ ـ وكانت هذه العقيدة سببًا في الهدوء النفسي، والطمأنينة القلبية، فلم يظهر ما يسمى بالعقد النفسية، أو الأمراض العصبية، أو حوادث الانتحار، وقارن ذلك بما تقرأه عن الدول الأوربية والأمريكية التي تدعى الحضارة والعصرية .

إن المسلم بإيمانه بهذه العقيدة أنه متفائلاً دائمًا، راضيًا بم قسم الله له، لا يعرف التشاؤم سبيلاً إلى قلبه، ولا اليأس طريقًا إلى نفسه، ولا يملك التحسر على ما فاته من أمور الدنيا عليه كيانه، فيشل حركته، ويميت نشاطه ؛لأنه يضع نصب عينه قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

٤ ـ والإيمان بعقيدة القضاء والقدر يدفع المسلم لأن يكون كريمًا سخيًا جوادًا ودودًا، ولهذا أثره في تكافل المجتمع وتماسك كيانه .

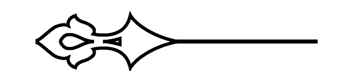
---

(١) سورة البقرة آية٢١٦ .




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



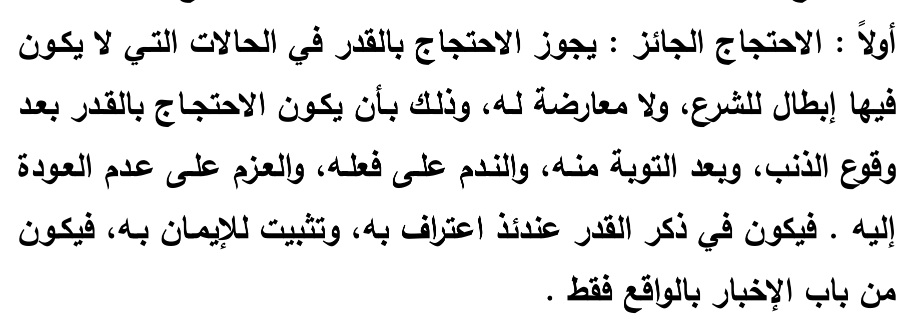


الفصل الثالث

علاقة الدعاء بالقضاء والقدر

المبحث الأول : هل يجوز الاحتجاج بالقدر

الاحتجاج بالقدر منه ما هو جائز شرعًا . ومنه ما هو ممنوع :



أولاً : الاحتجاج الجائز : يجوز الاحتجاج بالقدر في الحالات التي لا يكون فيها إبطال للشرع، ولا معارضة له، وذلك بأن يكون الاحتجاج بالقدر بعد وقوع الذنب، وبعد التوبة منه، والندم على فعله، والعزم على عدم العودة إليه . فيكون في ذكر القدر عندئذ اعتراف به، وتثبيت للإيمان به، فيكون من باب الإخبار بالواقع فقط .

ومن هذا النوع ما روي في الحديث الصحيح : (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : حاج آدم موسى فقال : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة وأشقيتهم ؟ قال فقال آدم لموسى : أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومونى على أمر كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني ؟ أو قدره عليَّ قبل أن يخلقني ؟

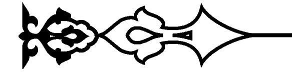
قال رسول الله ﷺ : (فحج أدم موسى) [1] .

هنا أقر سيدنا محمد احتجاج آدم بالقدر، وحكم له بمحاجة موسى عليهم الصلاة والسلام لأن احتجاج آدم بالقدر كان بعد وقوع المعصية وبعد التوبة منها . قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [2] . وليس في احتجاج سيدنا آدم بالقدر معارضة للشرع .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢) .

(٢) سورة طه آية ١٢٢ .





قال ابن القيم : " فإن قيل : فقد احتج عليَّ بالقدر في ترك قيام الليل، واقره النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليٍ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال لهم : ألا تصلون ؟ قال فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثها بعثها : فانصرف رسول الله ﷺ حيت قلت له ذلك، ولم يرجع إلىَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه، وهو يقول : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) .

ويجيب ابن القيم على هذا الاعتراض بقوله :" عليّ لم يحتج بالقدر على ترك واجب، ولا فعل محرم . إنما قال : إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء أن يوقظهما، ويبعث أنفسهما بعثهما، وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة ناموا في الوادي : إن الله قبض أرواحنا حيث شاء، وردها حيث شاء، وهذا احتجاج صحيح، صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح .

وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع الاحتجاج به .

فروي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء الله فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان " (١) .

ثانيًا : الاحتجاج الممنوع :

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

وهو الاحتجاج بالقدر في حال ارتكاب الذنب، والإصرار عليه، أوفى حال العزم على فعله في المستقبل، أو في حال ترك الأمر الواجب، أو العزم على تركه. ومن هذا النوع احتجاج المشركين والكفار بالقدر تبريرًا لشركهم وكفرهم، وقد حكى القرآن عنهم ذلك واستنكر صنيعهم فقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [(١)] .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [(٢)] .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [(٣)] .

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [(٤)] .

فأنكر الله عليهم في هذه الآيات احتجاجهم بالقدر، وزعمهم أم مشيئة الله للشرك دليل على رضاه منهم، فعارضوا الشرع بذكر القضاء والقدر، ولم يذكروا القدر على جهة الإقرار به والإذعان له، إنما ذكروه على جهة المعارضة .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

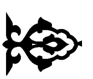
(٢) سورة النحل آية ٣٥ .

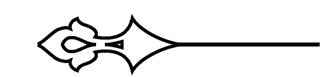
(٣) سورة يس آية ٤٧ .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٠ .

وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقضاء والقدر، وقال : أنا سرقت بقضاء الله وقدره، فقال عمر : وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدر .







المبحث الثاني : الإنسان مخير أم مسير

كان رسول الله ﷺ يكره المراء في الدين،والجدال بين المسلمين، خاصة في المسائل العويصة التي تضيع الوقت، وتبدد الجهد، وتفرق الجمع، ولا يتسنى للعقل البشري أن يقول فيها القول الفصل، والرأي الذي لا ينقضه رأي ؛ لأنها فوق مستواه وأعلى من مداه .

ومن هذه المسائل مسألة القدر، أو الإنسان مخير أم مسير ؟ مجبر أم مختار ؟ وقد جاءت أحاديثه الشريفة تبين ذلك :

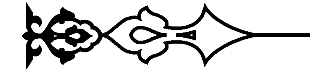
"عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم، وهم يتراجعون في القدر، فخرج مغضبًا حتى وقف عليهم فقال : (يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضًا
ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به) [1] .

وعن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال : (أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه) [2] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٧٨، ١٩٦، وابن ماجه في المقدمة ١/ ٣٣ .

(٢) رواه الترمذي في القدر ٤/ ٤٤٣ .






ـ وعــن عائشــة قالــت : قــال رسـول الله ﷺ : (إن أبغض الرجـال إلـى الله الألد الخصم) [1] .

ـ وقال عليه الصلاة والسلام : (ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ : (ما ضروبه لك إلا جدلاً، بل هو قوم خصمون) [2] .

ـ وقال عليـه الصلاة والسلام : (من ترك المراء وهو مبطل، بنـي الله لـه بيتًا في ربص الجنة، ومن ترك المراء وهو محق، بني الله به بيتًا في أعلى الجنة) [3] .

ـ وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (هلك المتنطعون) قالها ثلاثًا[4].

وعن عائشة قالت : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [5]قالت : قال رسول الله ﷺ : (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم) [6] .

---

(١) رواه مسلم في العلم ٤/ ٢٠٥٤، والألد : شديد الخصومة، والخصم : الحاذق بالخصومة في الباطل .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه ـ تخريج العراقي أحاديث الإحياء ١/ ٦٩ .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة أيضًا ـ المرجع السابق ١/ ٧٩ .

(٤) رواه مسلم في العلم ٤/ ٢٠٥٥، والمتنطع : المتعمق المغالي المتجاوز للحد .

(٥) سورة آل عمران آية ٧ .

(٦) المرجع السابق ٤/ ٢٠٥٣ .



هكذا كانت توجيهات سيدنا رسول الله ﷺ وذلك لأن هذه المسألة من المتشابه الذي يحير العقول .

وقد تحيرت العقول فعلاً، فرأينا كثرة المذاهب، وتعدد الآراء، وتنوع الاتجاهات، واختلاف الأدلة، وهي في جملتها تكاد ترجع إلى رأيين : رأي الجبريين، ورأي الاختياريين :

الجبريون : يرون أن الإنسان مجبر في أفعاله، لا إرادة له، ولا اختيار ولا قدرة، إنه أشبه بالريشة المعلقة في الهواء، يحركها الهواء كيف شاء، والخالق لكل شيء هو الله، والمريد لكل شيء هو الله .

واستدلوا على رأيهم بالعقل قالوا : لو كان للإنسان قدرة واختيار في خلق أفعاله لكان شريكًا لله في الخلق، ولكانت له أفعال لا تخضع لإرادة الله وقدرته، وهذا مستحيل .

واستعانوا ببعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١)، وقوله سبحانه : ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

والاختياريون : يرون أن الإنسان مختار في أفعاله الاختيارية بخلاف الاضطرارية التي لا دخل له فيها، وله القدرة على تنفيذ ما اختاره وأراده .

واستدلوا على رأيهم بالعقل فقالوا : لو لم يكن العبد مختارًا، وله قدرة على الفعل والترك لكان تكليفه بالشرع عبثًا من الله، والله منزه عن العبث، ولما استحق الإنسان المدح والذم على أفعاله، والثواب أو العقاب عليها.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ٣٩ .



واستعانوا ببعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣) .

وتأمل ما يسجله أستاذنا الشيخ صالح شرف الذي أمضى قرابة قرن من الزمان مع علم الكلام بعد أن انتهى من عرضه لهذا الموضوع قال : " فأنت ترى من كل ما قدمناه من الأدلة أنها متعارضة، وأن العقل يقف حائرًا : أي المذهبين يختار ؟ وأي طريق يسلك ؟ ما دام أن العبد باتفاق الرأيين لا يفعل غير معلوم الله .

غير أن الباحث في هذه المسألة يمكنه أن يحكم بأن مذهب الاعتزال أعطى حرية للعبد أوسع، حيث كان له تصرف في فعله بإيجاده، بخلاف مذهب أهل السنة من تقييد العبد بأنه هو وقدرته وعمله خلق الله تعالى .

كذلك نرى أن مذهب الاعتزال قريب ومنسجم مع التكاليف .

كما أن مذهب أهل السنة أليق بقدسية الخالق، وعظمته، وتفرده بالإيجاد، وباستحقاق العبودية لكونه خالقًا .

ولو قارنت بين الأدلة النقلية لكل من الطرفين، ولوجدتها متساوية فلا يمكنك أن ترجح بها مذهبًا على مذهب " (٤) .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٧، ٨ .

(٣) سورة المدثر آية ٣٧ .

(٤) مذكرات التوحيد للسنة الرابعة ص ١٢ .

وعرض المشكلة بهذه الصورة لا يمكن أن يوصل إلى الرأي الذي يطمئن إليه القلب، ويقنع به العقل .

واستمع إلى ما يقوله أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله :" لقد شغلت مسألة القدر، أو الجبر والاختيار، أو أفعال العباد عقول الإنسانية منذ أن كان الدين، أي منذ ابتداء تاريخ الإنسان على ظهر الكرة الأرضية .

وإذا أثيرت مسألة القدر في أي وسط كان ـ مهما كان قليل العدد فإنها تقسمه إلى قسمين . يقول أحدهما بالجبر، والآخر يقول بالاختيار .

لقد أثارها اليهود في دينهم، ففرقت بينهم، وقال بعضهم بالجبر، وقال الآخرون بالاختيار .

وأثيرت في الديانة النصرانية على مجرى التاريخ، فكان النزاع وكان الجدل، وكان التحيز لرأي والتعصب له وانقسم رجال المسيحية إلى فريقين يختصمان .

وأراد رسول الله ﷺ صلوات الله وسلامه عليه أن يتلافى انشقاق الأمة بسبب إثارة هذه المشكلة، فكان ينهي دائما عن إثارتها، وعن الجدال فيها .

ومضى رسول الله ﷺ راضيًا مرضيًا، وهو لا يسمح حتى النفس الأخير من حياته الشريفة بان تثار هذه المسألة .

ولم تثر هذه المسألة في عهد سيدنا أبي بكر لانشغال المسلمين بتوطيد دعائم الأمة الإسلامية منصرفين بذلك عن العبث في دين الله .

وكانت درة سيدنا عمر كفيلة برد كل من تحدثه نفسه بإثارة هذه المشكلة إلى جادة الصواب .

ومسألة القدر إذن من المتشابه، إنها من أهم مسائل المتشابه .



وهي فضلاً عن ذلك عصية على الحل، إنها ليست قابلة للحل، وهي ليست قابلة للحل سواء أثيرت في الشرق أو الغرب، وسواء أثيرت في القديم أو في الحديث، أو أثيرت في البادية أو في الحضر، إنها مفرقة بين الباحثين فيها، ومهما طال الجدل فسوف لا ينتهون إلى نتيجة، ومن أجل ذلك كان الروح الإسلامية العامة تحرم الخوض فيها .

ومع ذلك فقد بدأت هذه المشكلة تتسلل شيئًا فشيئًا إلى المجتمع الإسلامي، حتى لقد احتلت يومًا ما مركز الصدارة في الفكر الإسلامي النظري .

ولقد مهدت السياسة أولاً لهذا التسلل، وكانت السياسة أول عامل من عوامل إفساد التفكير النظري الديني في المجتمع الإسلامي السليم " [1] .

هكذا وضح لنا أن هذه المسألة من الناحية العقلية :

عصية على الحل . مضيعة للوقت . مبددة للجهد . مفرقة للجمع .

أما الآيات القرآنية، فيجب أن تفهم على ضوء أن الإنسان يحيا بين جبر واختيار،

وأن الخالق قد منحه إرادة بها كان التكليف، وعليها يكون الجزاء، ولا يعني أن الله يعين الإنسان على اختياره عدم مسئوليته عما يفعل .

ويحدث الخطأ في فهم الآيات القرآنية عندما تؤخذ آية، وتغفل أخرى، أو يستدل بجزء من آية، ولا يلتفت إلى باقيها، ومن المعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضًا .

(١) الإسلام والعقل ص ٧٨ ـ ٨٩ .

فإذا أردنا أن نفهم مثلاً قوله تعالى : ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَـهُ مِنْ هَادٍ﴾ (١)، ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّـهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ﴾ (٢) .

فلابد أن يكون فهمنا لهذه الآية في ضوء آيات أخرى في الموضوع : فنفهم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَـهُ مِنْ هَادٍ﴾ في ضوء قوله تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّـهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّـهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣)، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّـهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) .

ونفهم قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّـهُ فَمَا لَـهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ في ضوء قوله : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٥) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (٦) .

﴿ وَيَزِيدُ اللَّـهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (٧) .

وإذا أردنا أن نفهم قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّـهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٨) .

فعلينا أن ننتبه إلى نهاية هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّـهُ

---

(١) سورة الزمر آية ٢٣ .
(٢) سورة الزمر آية ٣٧ .
(٣) سورة إبراهيم آية ٢٧ .
(٤) سورة غافر آية ٧٤ .
(٥) سورة محمد آية ١٧ .
(٦) سورة يونس آية ٩ .
(٧) سورة مريم آية ٧٦ .
(٨) سورة الأنعام آية ١٢٥ .



الـرِّجْسَ عَلَـى الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ ﴾ فعـدم إيمـانهم، ورفضـهم الإسـلام باختيارهم كان

السبب في جعل الرجس عليهم، فكان الضيق والحرج في الصدور نتيجة لذلك .

بهذا القدر يجب أن تبحث مسألة الجبر والاختيار، أو الإنسان مخير أم مسير، مجبر أن مختار، ولا داعي للتنطع والتقعر طالما أن هذه المسألة عصية على الحل العقلي المجرد .

ولذلك لما جاء رجل إلى سيدنا على بن أبي طالب يقول : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال : طريق دقيق لا تمش فيه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال : بحر عميق لا تخض فيه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال : سر خفي لله لا نفشه .

ويقول الإمام على رضي الله عنه :" إن الله أمر تخييرًا ونهي تحذيرًا، وكلف تيسيرًا، ولم يعص مغلوبًا، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثًا، ولم يخلق السماوات والأرض باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار " (١) .

ولقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه تبارك وتعالى عنه في القدر :" هذه مسألة قد استعصت على الناس، فأنى يطيقونها، هذه مسألة مقفلة، قد ضل مفتاحها (٢) .

---

(١) العقيدة الإسلامية للشيخ محمد أبي زهرة ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق .



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ويقول سيدنا جعفر الصادق رحمه الله :" إن الله تعالى أراد بنا شيئًا، وأراد منا شيئًا، فما أراده بنا ذواه عنا، وما أراده منا، أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراد منا " [١] **.**

ويقول :" الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرًا ازداد حيرة وعن وهب بن منبه أنه قال : "نظرت في القدر فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به "
وخير فائدة ما قاله لنا رسول الله ﷺ : (إذا ذكر القدر فامسكوا) [٢] **.**

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٧ .
(٢) رواه الطبراني عن عيد الله بن مسعود (١٠٤٤٨)، وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ (١٠٤٤٨) ورمز له السيوطي بالحسن ــ السراج المنير شرح الجامع الصغير ١/ ١٢٠ .


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

المبحث الثالث : المحو والإثبات

يقول تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّـهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [(١)] .

وقد روي الإمام الطبري في تفسير الآية عن جمع من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى بتغيير المصير وإخراجه من الشقاء ـ إن كتب عليهم ـ إلى السعادة، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول وهو يطوف بالكعبة : " اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنبًا فامحه واجعله سعادة ومغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب [(٢)]، وروي نظير هذا الكلام عن ابن مسعود وابن عباس [(٣)]، وروي عن ابن زيد أنه قال في قوله سبحانه ﴿ يَمْحُو اللَّـهُ مَا يَشَاءُ ﴾ بما ينزل على الأنبياء و"يثبت" ما يشاء بما ينزله إلى الأنبياء، وقال : ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ لا يغير ولا يبدل [(٤)] .

وقال الزمخشري [(٥)] : ﴿ يَمْحُو اللَّـهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو ينزله غير منسوخ " [(١)] .

---

(١) سورة الرعد آية ٣٩ .

(٢) أخرجه اللالكائي عن عمر في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٣٤٦ ط ٣ سنة ١٣١٥هـ .

(٣) تفسير جامع البيان المجلد السابع ص ٤٣٨، انظر أيضًا معالم التنزيل للبغوي جـ٣ ص٢٢ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) هو العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب " الكشاف المفصل" كان مولده بزمخشر ـ قرية من عمل خوارزم ـ ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ومات



وقال الرازي [٢] : إن في هذه الآية قولين الأول : إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا : إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة .. . وهو مذهب عمر وابن مسعود .

والقول الثاني : إن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون البعض ثم قال قائل : ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم وليس الأمر بأنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والإثبات ؟ قلنا ذلك المحو والإثبات ـ أيضًا ـ مما جف به القلم، فإنه لا يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه [٣] .

وقال القرطبي [٤] بعد نقل القولين وأن المحو والإثبات هل يعمان جميع الأشياء أو يخصان ببعضها : مثل هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد، وإنما

ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة (سير أعلام النبلاء " الطبقة الثامنة والعشرون جـ ٢٠ ص ١٥١ .

(١) الكشاف ٢/ ٥٢١ .

(٢) الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري وهو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي، ولد في الري قرشي النسب أصله من طبرستان رحل إلى خوارزم وكان قائمًا لنصرة الأشاعرة، ورد على الفلاسفة والمعتزلة ولقب بشيخ الإسلام (ولد عام ٥٤٤هـ وتوفى في مدينة هراء ٦٠٦هـ) . سير أعلام النبلاء للذهبي الجزء الحادي والعشرون ص ٥٠١ .

(٣) مفاتيح الغيب المجلد التاسع ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٤) الإمام شيخ الموصل أبو بكر، يحيى بن سعدون بن تمام، الأزدي القرطبي المقرئ النحوي ويلقب بصائن الدين، ولد سنة ست وثمانين وأربعمائة، توفى بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء الطبقة الثلاثون الجزء العشرون ص ٥٤٧) .

يؤخذ توفيقًا وإلا فتكون الآية تامة في جميع الأشياء، وهو الأظهر ثم نقل دعاء عمر في حال الطواف ودعاء عبد الله بن مسعود ثم قال : روي في الصحيحين عن أبي هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " [(١)] .

والمفسرين تعرب عن الرأي العام بين المسلمين وهو ـ رأي أهل السنة ـ في إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة، ومنه الدعاء والسؤال، وأنه ليس كل تقدير حتميًا لا يغير ولا يبدل، وأن لله ـ سبحانه وتعالى ـ لوحين لوح المحو والإثبات ولوح " أم الكتاب" والذي لا يتطرق التغيير إليه هو الثاني دون الأول . وفي ذلك يقول ابن حجر :" ما سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، والذي يجوز عليه التغيير والتبديل، ما يبدو للناس من عمل العامل، فيقع فيه المحو والإثبات، كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات [(٢)]، ويقول هنا أيضًا ـ الألوسي رحمه الله ـ ما ملخصه إذا كان المحو والإثبات بالنسبة لما في أيدي الملائكة فلا فرق بين السعادة والشقاوة، الرزق والأجل، وبين غيرها من المقادير في أن كلا يقبل المحو والإثبات، وإن كانا بالنسبة إلى ما في العلم، فلا فرق ـ أيضًا ـ بين تلك الأمور وبين غيرها ؛ لأن العلم إنما تعلق بها على ما هي عليه في نفس الأمر، وإلا لكان جهلاً، فكأن المعنى : يمحو ما يشاء محوه، ويثبت ما يشاء إثباته مما سطر في الكتب، وثابت عنده في العلم الأزلي الذي لا يكون شيء إلا على وفق ما فيه . وقال : ويبدو أن الأمر أكبر من أن نحيط به علمًا، وأنه لا يسلم من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) .
(٢) فتح الباري ١١/ ٤٨٨، والمنهاج شرح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٣ .

أراد أن يفهم صفات الله من خلال واقع الإنسان وصفاته، وأن المحو والإثبات يدوران مع ما أثبت الله في اللوح ولا يخرجان عما علمه أزلاً (١) .

كذلك العبد مختار في أفعاله لا مسير، وحر في تصرفاته لا مجبور، له أن يغير مصيره وقدره بحسن فعله وجودة عمله، ويخرج اسمه من الأشقياء، ويدخله في السعداء والعكس فالله سبحانه وتعالى كما يمحو ويثبت في التكوين، يحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد ويغيره حسب ما يغير العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه وتعالى :﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) وليس في ذلك أي محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنة، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه وهو أيضًا من قدره وقضائه وسننه التي لا تبديل لها ولا تغيير (٣) .

وبعد أن أثبت أهل السنة والجماعة معتقدهم في مسألة المحو والإثبات أخذوا في بيان ما يقع عليه المحو والإثبات، حيث قالوا : القضاء نوعان: أحدهما : القضاء المثبت أو المطلق أو المبرم وهو في أم الكتاب ـ اللوح المحفوظ ـ فهذا ثابت لا يتغير ولا يتبدل .

وثانيهما : قضاء معلق أو مقيد: وهو ما في كتب الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات، فالآجال والأرزاق والأعمار وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيها المحو والإثبات، والزيادة والنقصان، فالمحو والإثبات لما في علم الملك وما في

(١) انظر : روح المعاني المجلد الثامن ص ٥٥٥ ـ ٥٦٥ .
(٢) سورة الرعد آية ١١ .
(٣) تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّـهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب ٦٢ .

أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له : القضاء المبرم ويقال للأول : القضاء المعلق [١] .



كما تأكد ذلك من قبل فتاوى علماء الأزهر الشريف حين قالوا : إن العلماء قالوا إن القضاء نوع من علم الله تعالى بما سيكون عليه حال العبد قبل خلقه، ومنه قضاء مبرم لابد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء ومنه قضاء معلق في وقوعه أو رفعه على شيء، فالموت مثلاً ـ قضاء مبرم لابد منه، ولا يدفعه شيء، وطول العمر قضاء معلق على فعل مثل صلة الرحم وعمل خير آخر، ومن هذا النوع المعلق أن يعلم الله سبحانه وتعالى أن شيئًا سيحصل للعبد عند دعائه، وأن مرضًا سيصيبه لا يبرأ منه إلا بالدعاء والعلاج، فكل حركات العبد والكون معلومة مكشوفة لله تعالى، ولكنها مغيبة عنا، ولذلك أمرنا بطاعته، ومن الطاعة الدعاء الذي يؤكد الإنسان شدة إيمانه بضعفه وحاجته إلى الله، فإذا حصل الدعاء وتم ما أراد الله كانت إرادته مرتبطة بدعاء العبد كما علمها من قبل، وما دام أمر القضاء مغيبًا عنا فعلينا امتثال أمر الله في الدعاء وغيره [٢] .

إذن : أن الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء، يعني له جهتان : فمثلاً هذا المريض قد يدعو الله تعالى بالشفاء فيشفى فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضًا، لكن بالدعاء شفي، فالله سبحانه وتعالى قد قضي بأن هذا المريض يشفى منه المرض بواسطة الدعاء فهذا هو المكتوب، فصار الدعاء يرد القدر ظاهريًا، حيث

---

(١) فتح الباري في شرح البخاري ١٠/ ٤٣٠، وانظر أيضًا : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩ .

(٢) لفضيلة الشيخ عطية صقر مايو ١٩٩٧م موقع وزارة الأوقاف المصرية .

أن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء لأن الأصل أن الدعاء مكتوب، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء وهذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل . وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببًا يحصل به الشيء وقد كتب في الأزل من قبل أن يحدث [1]، وهذا الرأي ينتهي بنا بأنه لا حاجة لنا لتقسيم القضاء إلى مبرم ومعلق فالكل قضاؤه ومكتوب في الأزل .

وكان قول أهل السنة أن الذي وجدوه في محكم آيات القرآن الكريم هو أن الدعاء جائز، بل هو مطلوب ، كما أن التغيير في القدر أو الإلغاء في بعض مقادير العباد جائز أيضًا، وذلك لأن ما هو مدون لا ينفذ ويحدث في الأرض بمجرد تدوينه وكتابته، بل أنه لا يحدث ولا يتنزل هذا الأمر من السماء إلى الأرض إلا إذا أراد الله له النزول والنفاذ .

فالحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يتقبل دعاء العباد كما يشاء، ويغير في أقدارهم النازلة إليهم إلى الأرض، بناء على أفعالهم ودعائهم له، حيث إن ما هو مدون في أم الكتاب مقضي لا محالة، ولتوضيح هذه الحقيقة يستلزم التحدث عن أحوال التدوين للقدر في السماء، حيث إنها تتم على عدة أحوال أعم فأخص كما يلي :

التقدير الأول هو الأعم :

وهو التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض، وهو أن كل فعل جبريًا كان أو اختياريًا مكتوب ومدون تدوينًا وكتابة سابقة على الحدوث في أم الكتاب [2]، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي

---

(١) انظر : كتاب فتاوى العقيدة ص ٣١٠، وشفاء العليل ص ٥٧٠ .

(٢) انظر : معالم التنزيل للبغوي جـ٣ ص ٢٣ وحكمة التدوين لغلق الباب على الأفهام الضالة التي قد يتطرق إلى أذهانها إمكانية أن ينسى أو يسهو

الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [1]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [2] .

ودليل السنة :

وقال الرسولﷺ "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . قال وعرشه على الماء [3]، وكذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أبي حفصة الشامي قال : قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني أنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :" من مات على غير هذا فليس مني" [4] .

الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا فإن ذلك التدوين لكي تتلقاه الملائكة كأوامر تقوم بتنفيذها وإتمامها بإذن ربها . وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **فالمقسمات أمرًا**﴾ الذاريات : ٤، وكذلك يقول الله تعالى : ﴿ **فالمدبرات أمرًا** ﴾ وقيل أن يظهر للملائكة كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات على سبيل التفصيل (مفاتيح الغيب المجلد التاسع ص ٢٦٥) .

(١) سورة الحديد آية ٢٢ .

(٢) سورة النمل آية ٧٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم ٢٦٥٣، والمراد : هو تحديد وقت الكتابة وليس أصل القدر فهو أزلي

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر رقم (٤٧٠٠) والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة "ن والقلم وما يسطرون" (٣٣١٩) وقال : "هذا حديث حسن صحيح غريب"= =وصححه الشيخ ناصر



وروي عـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ :" لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح، فإن لها ما قدر لها [1]، وقيل هذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم [2] .

التقدير الثاني : وهو أقل عمومية من سابقه :

وهو خاص بالبشر : أرزاقهم وآجالهم وأفعالهم ومصائرهم في الآخرة ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ فيما يرويه على رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال :" ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة [3] .

التقدير الثالث : وهو خاص بما يفعله الناس بأنفسهم :

خاص بتقدير أفعال العباد وذلك قبل خلق آدم بأربعين سنة، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :" احتج آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ عند ربهما، فحج آدم موسى، قال

الألباني في صحيح الترمذى (٢٦٤٥) وقال : إسناده حسن، وأحمد في المسند (٣١٧١٥) والحديث صحيح بشواهده .

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا (٦٦٠١) وفي النكاح (٥١٥٢) .

(٢) قول ابن عبد البر رحمه الله في فتح الباري ١١/ ٥٨١ ط الحديث .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله (١٣٦٢) ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧) .



موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالتــه وبكلامــه وأعطاك الألواح فيها تبيان كـل شيء وقربك نجيًا فبكم وجــدت الله كتب التــوراة قبل أن أخلق ؟ قـــال موسى : بأربعين عامًا قـــال آدم : فهل وجـــدت فيها ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّـــهُ فَغَـوَىٰ ﴾ [1]. قـــال : نعـم قـــال أفتلومني على أن عملت عمـــلاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبـل أن يخلقني بأربعيـن سنة ؟ " قال رسول الله ﷺ : " فحج آدم موسى " [2]، فهذا التدوين خاص بتجارب الابتلاءات التي يجتازها الناس في حياتهم ونتيجة اختياراتهم، وهي مدونـة قبل خلق الإنسان بأربعين سنة .

التقدير الرابع : خاص بما يدون للجنين في بطن أمه :

---

(١) سورة طه آية ١٢١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد رقم (٣٤٠٩) ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى رقم (٢٦٥٢) واللفظ له (وقد اشتبه هذا الحديث على كثير من الفرق، فمنهم من رده وزعم أنه باطل ؛ لأن مداره على الطعن في الأمر والنهي والنبوات وغير ذلك وهؤلاء هم المعتزلة وقد رد عليهم بأن الحديث صحيح وليس أسلوب فهمه على ما ذهبوا إليه (انظر : المطالب العالية من العلم الإلهي لفخر الدين الرازي ٩/ ٢١٧، وذهب الجهمية الجبرية إلى الاستدلال به على صحة الاحتجاج بالقدر على المعصية والذنوب (انظر: لوامع الأنوار البهية : للعلامة محمد السفاريني ١/ ٣٤٦، والفهم الصحيح لاحتجاج آدم هو أن آدم احتج بالقدر على المصيبة ولم يحتج بالقدر على المعصية ويؤكد ذلك ابن القيم في شفاء العليل ص ٢٩، وإن كنت أرى أن ما ورد قد يكون من قبيل الخاص بهما .

خاص بتدوين أخص التقديرات للإنسان الفرد، حيث يتم وهو بعد جنين في بطن أمــه، وفيــه يدون رزقه وأجله وعمله، ويسجل مصيره شقيًا كان أم سعيدًا قال تعالى : ﴿ وَاللَّـهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ﴾ [١] .

ودليل ذلك من السنة :

قول الرسول ﷺ عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال :" إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثــل ذلك، ثــم يكون فــي ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهــل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكــون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها [٢] .

التقدير الخامس : وهو التدوين السنوي للمقادير :

وذلك بنسخ مقادير العام القادم من أم الكتاب ليلة القدر، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّــنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [٣]، وقال ابن

(١) سورة فاطر آية ١١ .

(٢) أخرجــه البخاري فــي كتــاب بــدء الخلق، بــاب ذكــر الملائكة رقــم (٣٢٠٨) ومســلم فــي كتــاب القدر، باب كيفية الخلق للآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وآجله وعمله (٢٦٤٣) .

(٣) سورة الدخان الآيات ٣ ــ ٥ .

عباس رضي الله عنه : " يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فن وفلان " وقال مقاتل :" يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في أرضه وفي عباده إلى السنة القابلة " (١) .

التقدير السادس والأخير للقدر :

التقدير اليومي، وهو تدوين ونسخ مقادير وأحوال اليوم من سجلات أحوال السنة ودليل ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (٢)، وقد روي ابن جرير بسند حسن عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا : يا رسول الله، وما ذاك الشأن ؟ قال ﷺ : أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين" (٣) .

وختام القول في قضية المحو والإثبات، ذكر البغوي (٤) في بيان قول المفسرين بأن هذه التدوينات المتعددة المنتهية بالتقدير اليومي ينظر فيه

---

(١) راجع هذه الأقوال في شفاء العليل لابن القيم صـــ٤٩ .

(٢) سورة الرحمن آية ٢٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٤٠) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٣) وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة (٣٠١)، وابن حبان (٦٨٩) خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه (وفي ذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ * بِيَدِكَ الْخَيْرُ * إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة آل عمران .

(٤) هو أبو محمد بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الملقب ظهير الدين الفقيه الشافعي المحدث المفسر، كان بحرًا في العلوم، صنف كتبًا

الله سبحانه وتعالى فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء، والمحو والإثبات بناء على ما يرفع إليه سبحانه من أعمال العباد الصالحة أو معاصيهم أو أدعيتهم أو غفلتهم عن ذكره وهذا لا يعني نفي حتمية القدر، ولا يعني نسبة التغيير في المشيئة، أو نسبة النقص إلى العلم الإلهى ؛ وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء والقدر إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب المسجل فيه كل مقادير السماوات السبع والأرض، فقد سجل في أم الكتاب أن العبد سيدعو ربه، وأن الله سبحانه سيستجيب له، ويمحو من قضائه أو يلطف، ومن ثم يكون هذا نابعًا أيضًا وموافقًا لعلم الله الأزلي الذي سجله بالقلم قبل خلق السماوات والأرض في أم الكتاب الذي لا يحيط بما فيه إلا هو سبحانه [(١)]، وهـذا تحقيقًا للمعنى في قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

والإمام الغزالي رحمه الله قال : فإن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ؛ فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وقد قال تعالى : ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [(٢)]، وليس من شروط الاعتراف بقضاء الله أن يحمل السلاح، وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذور، فيقال إن سبق القضاء بالنبات أنبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء

كثيرة منها تفسيره المعروف بمعالم التنزيل، وشرح السنة، توفى سنة ٥١٠هـ (انظر: وفيات الأعيان ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .

(١) معالم التنزيل جـ٣ص٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) سورة النساء آية ١٠٢ .

الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته (١) .

فقد وضح "الإمام الغزالي" أنه لا تناقض إطلاقًا بين الدعاء وبين القضاء والقدر؛ لأن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب المقدرة سابقًا في علم الله الأزلي أنه تقضي ببركتها أمور، وتدفع كروب، وإن مثل الدعاء كمثل الدواء، فكما أنه لا يصح للمريض أن يترك التداوي إتكالاً على ما كتبه الله عليه سيحدث سواء تناول الدواء أو تركه، فكذلك لا يصح للمسلم أن يهجر الدعاء اعتمادًا على أن ما قدر فسوف يكون؛ لأن العاقل هو الذي يتعاطى الأسباب بعزم ثم بعد ذلك يترك النتائج لله الواحد القهار .

وهذا ما دعا العلامة محمد رشيد رضا إلى عدم الوقوف فقط عند حدود نفع الدعاء بل توسع في الأمر إلى بيان أنواع للدعاء، مما يدل على قناعة تامة بنفعية الدعاء، حيث نراه قد ذهب إلى تقسيم الدعاء إلى نوعين :

القسم الأول اضطراري : وهو الالتجاء إلى القوة الغيبية عند تقطع الأسباب بالإنسان، وسد منافذ الرجاء بالسعي، وهذا الفرع من الدعاء ـ كما يقول ـ هو ميزان الإيمان ومعيار التوحيد الخالص، وأن هذا الدعاء أثر من آثار الإيمان بقوة وراء الطبيعة وهذا الأثر هو روح العبادة، وأكبر مظاهرها .

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١ ص ٣٣٦، انظر أيضًا إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٥/ ٣٩ .



أما القسم الثاني من الدعاء فهو الاختياري : وهو من الأعمال التي تزيد في الإيمان، وتمده وتدعمه كسائر العبادات المطلوبة، ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى، وهذا النوع هو أحد خصال الإيمان، وهذا هو الدعاء المطلوب شرعًا، واستجابة هذا الدعاء ليست من الخوارق الحقيقية، ولكنها من التوفيق الإلهي والعناية الربانية [(١)] .

وهذا ما حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه " [(٢)]، فعمر بن الخطاب هنا يوضح لنا بأن الإشكال ليس في الاستجابة، وإنما في أن يلهمه الله تعالى ويوفقه إلى الاهتداء لتفعيل هذا السبب ـ الدعاء ـ فإذا وفق فإن الإجابة ـ بإذن الله ـ مضمونة [(٣)] .

وإتمامًا للفائدة وختام معتقد أهل السنة والجماعة بالقول :" إن الدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات، فإن صادف أركانه قوي، ومن أركانه الاضطرار، وإن صادف أجنحته طار في السماء، وأجنحته قوة الصدق مع

---

(١) مجلة المنار، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل النوع الحادي عشر : استجابة الدعاء ٦/ ٤٠٦ .

(٢) أورده الحافظ في الفتح ١١/ ١٤١، وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٢٩ .

(٣) وتكون بإحدى الطرق الثلاث : إما أن تعجل له دعوته، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها وذلك تحقيقًا لقول الرسول ﷺ : " ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل " سنن الترمذي ٣٦٧٧" (انظر: تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢٧٣) .

المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه، وإن صادف أسبابه نجح، وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ، وإن صادف أوقاته فاز وأوقاته السحر" [١].



(١) المدخل لابن الحاج جـ٣ص١٣٠ "مواطن إجابة الدعاء" (انظر تفصيل الأمر في أسباب الدعاء وأركانه وشروطه وأوقاته من كتاب الدعاء مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة د/ محمد محمود أحمد، د/ موسى الخطيب، وانظر أيضًا فضائل الذكر والدعاء لابن القيم ص ١١٦ وما بعدها .

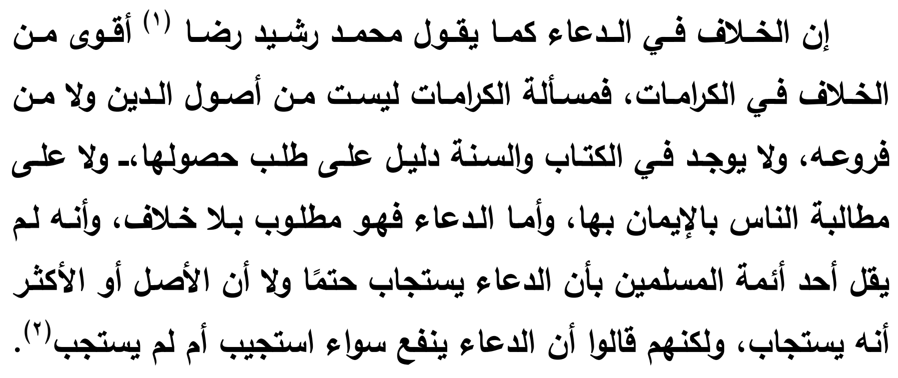



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

الفصل الرابــــع

الفصل في علاقة الدعاء بالقضاء

المبحث الأول : عقيدة أهل السنة والجماعة في علاقة الدعاء بالقضاء



إن الخلاف في الدعاء كما يقول محمد رشيد رضا [1] أقوى من الخلاف في الكرامات، فمسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعه، ولا يوجد في الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها.ـ ولا على مطالبة الناس بالإيمان بها، وأما الدعاء فهو مطلوب بلا خلاف، وأنه لم يقل أحد أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتمًا ولا أن الأصل أو الأكثر أنه يستجاب، ولكنهم قالوا أن الدعاء ينفع سواء استجيب أم لم يستجب[2].

وهناك من يستهين بشأن الدعاء ويرى أنه لا داعي له ولا جدوى من ورائه وحجتهم طالما أن الله سبحانه وتعالى يعلم حاجة العبد وأنه لن يصيب العبد إلا ما قدر له ـ وهذا مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل الأسباب وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله، فالدعاء أمره عظيم، وشأنه جلل،

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني ولد ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥م في قرية "القلمون لبنان وتوفى بمصر ١٩٣٥م (انظر: إبراهيم العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة وصلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة : مركز الحضارة العربية ٢٠٠١م) .

(٢) مجلة المنار المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل (النوع الحادي عشر : استجابة الدعاء ٦/ ٤٠٦) .

به يرد القضاء، وبه يرفع البلاء، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل [١] ؛ لذا أخذوا في بيان الأدلة العديدة والمتنوعة الموضحة والمثبتة لهذا المعتقد، وعلى رأسها الأدلة القرآنية باعتبارها الحق في ذاته في هذه القضية ؛ لكونها كلام الله تعالى، وأدلتهم كما يلي :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

الأدلة القرآنية وتنوعها في هذا الشأن تنقسم إلى خمسة أنواع ألا وهي :

١ ـ النوع الأول : هي المتمثلة في الآيات الآمرة بالدعاء، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [٢]، وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٣] وإن اختلف المفسرون في المقصود بالدعاء هنا، قيل أنه العبادة [٤]، وقيل هو الذكر والدعاء والسؤال أي فسر على ظاهر اللفظ، ويكون المعنى استجب لكم إن شئت، وهذا القول هو المعول إليه لدى أهل السنة والجماعة هنا .

٢ ـ النوع الثاني : هي الآيات المشيرة إلى غضب الله سبحانه وتعالى ـ على من ترك الدعاء وغضبه تعالى دليل واضح على حبه لاستنجاد عباده به ؛ لإجابة الداعي وتحقيق مبتغاه ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ

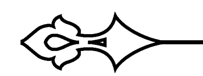
---

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٣٦ ــ ٣٧ .

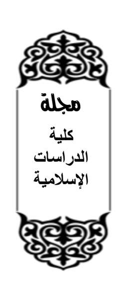
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر آية ٦٠ .

(٤) راجع تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جرير الطبري المجلد الثاني ١٦٦ ـ ١٦٧ .



جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ (٢).



٣ ـ النوع الثالث : الأدعية التي لم ينسبها القرآن الكريم لأحد، والتي تعتبر نماذج إلهية للدعاء، لتكون خير قدوة يقتدي بها البشر في صياغة أدعيتهم، ولعل الحكمة الإلهية من هذه القدوة هو قبول ما قدموا من دعاء واستجابته ومن هذا قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٣) ﴿٦﴾ سورة الفاتحة، وقوله عز من قائل : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (٤).

٤ ـ النوع الرابع : الآيات القرآنية التي نصت صراحة على استجابة الله تعالى لمن دعاه من سائر الخلق، حيث استجاب للخليل إبراهيم عليه السلام حينما قال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (٥) ، كما استجاب لموسى الكليم عليه السلام حينما قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (٦)، واستجاب لجند طالوت حينما قال : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ (٧) .

٥ ـ النوع الخامس: الآيات القرآنية التي وضعت مواصفات وشروط لقبول الأدعية، ولا يتأتى هذا الاهتمام بالدعاء إلا إذا كان ذو نفع وأثر، ومن

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٣ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٧٦ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٦ .

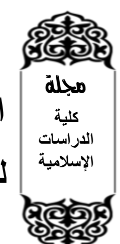
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٥) سورة البقرة آية ١٢٩ .

(٦) سورة يونس آية ٨٨ .

(٧) سورة البقرة آية ٢٥٠ .

ذلك قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [2] .



فهذه الأنواع الخمسة دالة بوضوح على نفع الدعاء، كما تدل على أن الله تعالى لا يخلف وعده الذي قطعه في قرآنه المجيد من استجابته تعالى لمن رفع إليه أكف الضراعة مستنجدًا وسائلاً .

كما أن عمدة الآيات القرآنية التي تدل دلالة واضحة على كون الأقدار تنزل على البشر بناء على اختيارهم وأدعيتهم، وأن الأحداث الطبيعية ـ كالمطر والإنبات ـ والبشرية التي تنزل جبرًا من السماء إلى الأرض إنما تنزل بأمر الله بناء على أفعال الناس الاختيارية . وعمدة هذه الحقيقة القرآنية قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [3]، وقوله تعالى فيما يقصه علينا من قول نوح لقومه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [4]، هكذا نجد العلة الحقيقية في نزول المطر والثراء وكثرة الأولاد الاستغفار من الناس ثم الاستجابة من الله سبحانه وتعالى حيث يمحو أقدارهم ويثبت كما هو عنده في أم الكتاب [5] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٣) سورة الرعد آية ١١ .

(٤) سورة نوح الآيات ١٠ ــ ١٢ .

(٥) انظر : القضاء والقدر في الإسلام د/ فاروق أحمد الدسوقي ص ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .



ثانيًا : الأدلة من السنة النبويـــة :

ولقد تضافرت الأحاديث النبوية أيضًا في بيان وتوضيح موقف الدعاء من القضاء على حد قول أهل السنة منها :

١ ـ أنه قيل له : يا رسول الله :" أرأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به، وتقاه نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا ؟ قال : هي من قدر الله " (١) .

وقوله : (هي من قدر الله) فيه فائدة عظيمة أشار إليها الإمام الزركشي (٢) في قوله : "إن الرقي والدواء لا تستقل برد القضاء، لكن الله تعالى إذا أراد رد قضائه بحسب سابق علمه، قدر التسبب باستعمال الرقي والأدوية، وقد صحت السنة بمشروعية التداوي والاسترقاء (٣) .

٢ ـ عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئًا يعطي أحب إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء " (٤) .

---

(١) سنن الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئًا رقم الحديث (٢١٤٨) .

(٢) أبو عبد الله بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري فقيه ومحدث وله مشاركة في علوم كثيرة، ولد في القاهرة سنة ٧٤٥هـ، وتوفى سنة ٧٩٤هـ (سيرة أعلام النبلاء ج٦ ص ٦٠ ـ ٦١) .

(٣) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد لعبد الكريم تنان ومحمد الكيلاني ٩٥٥/٢، وانظر أيضًا : إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ١٧٣٨ دار الكتاب العربي .

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ رقم الحديث (٣٥٤٨) .

٣ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالك، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم " [١]، والحديث يدل بوضوح على تأثير الدعاء في القدر المكتوب، ولهذا ورد النهي والمنع من الدعاء على الأنفس والأرحام والأولاد خوفًا من أن توافق ساعة إجابة .

٤ ـ وما رواه ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال :" لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه [٢] .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر " [٣]، فهذان الحديثان الشريفان وما جاء على منوالهما يبينان الصلة الوثيقة بين الدعاء وكل من القضاء والقدر إذ في حديث ثوبان بين الرسول ﷺ أن القدر لا يرده إلا الدعاء .. .. وفي رواية سلمان بين المصطفى أن القضاء لا يرده إلا الدعاء .. . القضاء حكم معد للنفاذ والدعاء رجاء من العبد مرفوع منه إلى مولاه للحد أو التخفيف في هذا الحكم الشامل بالنفاذ ؛ ولذلك يوضحان الحديثان أن الدعاء من أعظم النعم الإلهية على البشر، إذ هو وحده الذي يستطيع فقط أن يرد القضاء [٤]، والدعاء سلاح المؤمن ؛ لأن الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي فيتصادم بالبلاء، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب

---

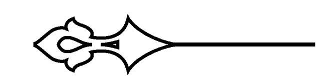
(١) سبق تخريجه فيما سبق .

(٢) ابن ماجه، في مقدمة باب القدر (٩٠)، والترمذي، القدر باب لا يرد القدر إلا الدعاء (١٣٩) وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧) .

(٣) سنن الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ رقم الحديث (٢١٣٩) .

(٤) راجع في ذلك : إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٥/ ٣٠ والشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري ص ٢١٥ .





البلاء فهما متصارعان .. . فإن غلب الدعاء رفع البلاء وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد " وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَاللَّـهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ (١).

ثالثًا : الدليل الفطري على فاعلية الدعاء :

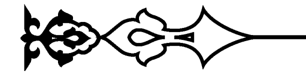
في فطرة كل إنسان وفي نفسه طريق يسير به إلى الله سبحانه وتعالى، وقال تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢)، وهذا الأمر أصيل في فطرة الإنسان وطبيعي في وجوده، وهو في ذلك إنما يلجأ إلى الله القدير، حيث يدعوه واثقًا بقدرته . إن غريزة الدعاء والالتجاء إلى الله هي من الغرائز البشرية العليا التي لابد أن يعرفها الإنسان، فهي الهادية والمرشدة له، وكل غريزة من هذا القبيل لا يكون وجودها عبثيًا في الإنسان . وخير ما يجسد ذلك قول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣) .

إذن من يعترض على كون الدعاء مخالفًا للقضاء والقدر، وللحكمة الإلهية والتسليم والرضا فيكون الجواب عليه من قبل أهل السنة والجماعة بأن الدعاء هو جزء من القضاء والقدر وهو عين الحكمة الإلهية، والتسليم والرضا بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

رابعًا : الأدلة العقلية :

---

(١) سورة يوسف آية ٢١ .
(٢) سورة الذاريات آية ٢١ .
(٣) سورة يونس آية ٢٢ .





أن العقل السليم يدل على نفع الدعاء ؛لأن العقل دل على وجود الله لأنه فعال لما يريد، وأنه لا معقب لحكمه، وأنه لو لم يكن الدعاء نافعًا ومؤثرًا ما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين به، وقد حكى لنا القرآن الكريم نماذج متنوعة من دعواتهم[1]

وهنا نجد القرآن الكريم يقدم للإنسانية ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية بمفكريها ملتزمين بالقرآن والسنة وبالمنهج النبوي كمفهوم صحيح للتوحيد بأن الله سبحانه وتعالى عليم بكل ما يحدث في الكون، بصير به، قدير عليه، وسميع لدبيب النملة، وهو سبحانه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بقدرته وسمعه وبصره وعلمه وجبروته ورحمته بفاعليته ومشيئته .

ويثبت القرآن الكريم وشمول العناية الإلهية لكل الموجودات الكائنة وذلك كما في قوله على لسان لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [2]، وعمومية العلم، والقدرة المطلقة، والإرادة والمشيئة النافذة .

فالصلة بين الله سبحانه وتعالى وخلقه صلة أخذ وعطاء، يعطي الله خلقه وجودهم وما يفيد استمراره ويأخذ منه الخلق ذلك، وتلقي وقبول وعمل ورضاء فإدارته للكون وانفاذه للقدر المكتوب، إنما يتم بأمره الكوني الخاص به وحده تحقيقًا لقوله : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [3]، فهو وإن كان قد أمر القلم أن يكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، ومن ثم يبين

---

(١) أنظر : كتاب الدعاء د/ محمد السيد طنطاوي رحمه الله ص ٦٤ .

(٢) سورة لقمان آية ١٦ .

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤ .



لنا هذه الصلة الحية النابضة القائمة بينه تعالى وبين خلقه مباشرة بقوله : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (١) .

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

إذن فالعلاقة كما مر بنا ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير وليست الأمور تجري على العباد بفعل العلل الغيبية والطبيعية، وإنما الأمور تتنزل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعالهم الاختيارية، ودعائهم وطلبهم من ربهم ما يريدون، ومن ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٢)، بل أنه أمر العباد بالطلب منه والدعاء فقال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر آية ٦٠ .




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الثاني : المخالفون لأهل السنة والرد عليهم

أولاً : المعتزلة ومعظم الفلاسفة :

ذهب المعتزلة وكثير من الفلاسفة [1] إلى أنه لا ينفع مع القدر شيء لا دعاء ولا توكل، فالاشتغال بالدعاء هو باب من أبواب التعبد المحض من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما .

وكان اشتباهم في عدم فهم القدر فهمًا صحيحًا يتضح بقولهم : "لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ؛لأن الداعي بين الخوف والرجاء، والشك في وقوع ذلك شك في خبر الله [2] .

ومعتقد المعتزلة والفلاسفة مبناه على فكرهم ومعتقدهم في نظريتهم القائمة على السببية في الأشياء الطبيعية، وقولهم بتأثير الأسباب بعضها في بعض، والذهاب إلى ما هو أبعد وأخطر من ذلك وهي كونها تعمل مستقلة عن الله وغير خاضعة لإرادته، ولا يستطيع ـ سبحانه ـ تغييرها، ومن هنا كان تورطهم في القول بأن الإنسان خالق فعل نفسه وخاصة

(١) وقـــد يظن البعض أن ابن سينا قد خالف المنهج العام للفلاسفة عندما اعترض على من قال : أن الدعاء عبث إذ قد قدر الله كل شيء فقال :" لا لأن الباري هو الذي جعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء، كما جعل سبب صحة هذا المريض شرب الدواء .. . ويصير دعاؤنا سببًا للإجابة .. . وإذا لم يستجب الدعاء لذلك الرجل، فالسبب فيه أن الغاية النافعة إنما تكون بحسب نظام الكل لا بحسب مراد ذلك الرجل (التعليقات لابن سينا ص ٤٧ ــ ٤٨) ولكن المتأمل في عبارته هذه يلاحظ بأنه يساير قول الفلاسفة وذلك هو بعينه منهج الفلاسفة القائلين بكسبية المعجزات والنبوة وبالمنفعة الحتمية .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٧١٩ .



الجور والمعاصي والشرور وما شابها، وتعللهم ذلك بأن خلاف هذا يؤدي إلى الطعن في جانب التكليف المتمثل بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فكان من الطبيعي بناء على معتقدهم هذا إنكارهم لتأثير الدعاء في القدر باعتباره أنه أمر يعطل نظرية الأخذ بالأسباب، ويعطل التوكل، وعلى حد معتقدهم هو فعل إنساني لا علاقة لله ـ سبحانه ـ به وغير خاضع لإرادته .

والرد عليهم في هذا الأمر، فمن وقف على حقيقة الأسباب وربطها بمسبباتها، وعلم أنه . لا عمل لها ولا تأثير بذاتها بل بما أودع الله ـ تعالى ـ فيها من القوى الموجبة، وبعد مشيئته .

وأيضًا وقف على حقيقة مشكلة أفعال العباد واستطاع أن يفرق بين قدر الله الذي هو فعله وبين مقدوره الذي هو مفعوله، لاستطاع أن يهتدي بسهولة إلى أن الدعاء ما هو إلا سبب من الأسباب قدرها الله سابقًا في علمه الأزلي للعباد لتكون عونًا لهم في حياتهم الدنيوية .

ثانيًا الجبرية :

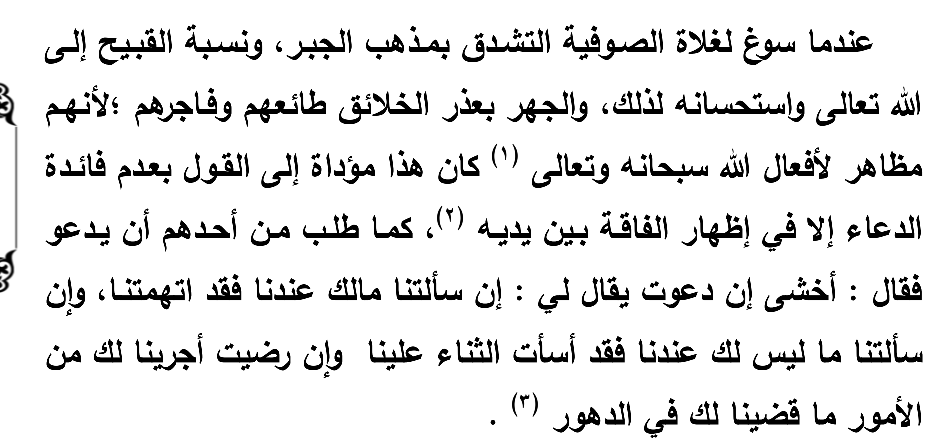
وهم الذين تركوا الدعاء جملة، وبنوا تركهم على أن سبق القدر بالسعادة والشقاوة لا يتبدل ولا يتحول عمل أو لم يعمل . وذلك بناء على معتقدهم الخاطئ في الفعل الإنساني بأنه بلا قدرة أو استطاعة أو إرادة، وإنما يخلق الله ـ تعالى ـ الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات . ولا شك أن هؤلاء بنوا ما بنوه على فهم فاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين [(١)] .

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٢٢١، وشفاء العليل ص١٠٩، ١١٠ (ويكفي في الرد عليهم سرد أدلة المعتزلة على مذهبهم، حيث تنقضي أدلتهم لأنهم بنوا مذهبهم على إثبات الفعل والمشيئة للعبد،وأتوا بالعديد من الآيات القرآنية التي تثبت ذلك (راجع الكهف :



ثالثًا : غلاة الصوفية :



عندما سوغ لغلاة الصوفية التشدق بمذهب الجبر، ونسبة القبيح إلى الله تعالى واستحسانه لذلك، والجهر بعذر الخلائق طائعهم وفاجرهم ؛لأنهم مظاهر لأفعال الله سبحانه وتعالى (١) كان هذا مؤداة إلى القول بعدم فائدة الدعاء إلا في إظهار الفاقة بين يديه (٢)، كما طلب من أحدهم أن يدعو فقال : أخشى إن دعوت يقال لي : إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور (٣) .

كما كان قولهم : " لا يكن تأخر أمر العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبًا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد، واعلم أن من أسمائه ـ تعالى ـ القيوم، وهو مبالغة في القيام، فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه، وعين لكل مظهر وقتًا محدودًا وأجلاً معلومًا، ولكل واحد شكلاً معلومًا ورزقًا مقسومًا، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فإذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فارجع إلى وعد الله واقنع بعلم الله ولا تحرص، ففي الحرص تعب ومذلة .. . وإن كان ولابد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبًا للحظ، فإن تركت

٢٩، والفرقان : ٢٧، المدثر : ٣٦ ــ ٣٧، الشمس : ٧ــ١٠، والبلد : ١٠ ..) .

(١) وهو ما لا يعبر عن الاتجاه العام في فكر أو سلوك أئمة المذهب بل هو قاصر على المغالين منهم .

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٢٦٩ .

(٣) نفس المرجع السابق والصفحة .

الحظوظ صبت عليك الحظوظ " [1] كما ذكر الإمام القشيري [2] كلامًا واضحًا في الرد على هذا السؤال : " أيهما أولى الدعاء أم الاستسلام للقضاء حيث قال : الأولى أن يقال الأوقات مختلفة . ففي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب، وفي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك بالوقت، فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم وإلا فالدعاء وتركه ها هنا سيان .. ثم قال : ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى وفيه حق فالدعاء أولى، لكونه عبادة وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم " [3] .

وقالوا بهذا ؛ لأن الخير المتعدي أولى من الخير القاصر على واحد، واستدلوا بحديث النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :" عجبًا لأمر المؤمن لا يقضي الله له شيئًا إلا كان خيرًا له " [4] .

كما أن قولهم عن المشيئة الإلهية : إما أن تقتضي المطلوب أو لا، فثم قسم ثالث وهو أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء

(١) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة ص ٢٣ .

(٢) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي الصوفي، المفسر، صاحب الرسالة، ولد سنة ٣٧٥هـ، وتوفى يوم الأحد سنة ٤٦٥هـ (سير أعلام النبلاء ــ الطبقة الرابعة والعشرون جـ ١٨ ص ٢٢٧) .

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٦٥، والفتوحات الربانية على الأذكار النووية ٧/ ٢٣٥ لابن حجر العسقلاني .

(٤) رواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، باقي مسند المكثرين من الصحابة رقم الحديث (١١٩٣٦) حديث مرفوع، وصححه الشيخ ناصر في الأحاديث الصحيحة (١٤٨).

من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه . فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وسائر الأسباب [١]، ويجب أن يفهم هنا أن الذي حرك العبد إلى دعائه هو الله، فهذا الخير منه وتمامه عليه [٢] .

وخير ما يختتم به الرد على غلاة الصوفية :

قول النبي ﷺ : " أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان " [٣] فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته بل ينظر إلى القدر، ويسلم الأمر لله ؛ فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء : الأمور أمران : أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه [٤].

وفي نهاية الأمر فلنذكرهم بأن القائل : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " [٥] هو الذي قال : "

---

(١) انظر : الداء والدواء لابن القيم ص ٢٧ .

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٧٠ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه (كتاب القدر ـ ٤٦ ـ باب (٨) في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢) .

(٤) مجموع فتاوى ٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام . رقم الحديث ٤٨٠٣ صـــ٢٦٥٣ .

اعملوا فكل ميسر لما خُلق له " [(١)] فما حالكم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [(٢)] .

رابعًا الشيعة :

ذهبت الشيعة إلى أن هناك العديد من الآيات بها تصريحات بأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يغير مصيره بصالح أعماله وطلاحها، وذلك تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [(٣)]، وقوله تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [(٤)]، فهذه الآيات ـ تبعًا لمعتقد الشيعة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدامى في بطن أمه . رقم الحديث (٤٧٩٥) انظر المزيد من الردود على غلاة الصوفية في الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ص ٥١ ــ ٥٣، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦، ومنهاج السنة ٣/ ٢٠٣ ــ ٢٠٩، والاستقامة ٢/ ٧٣ ــ ٧٦، ومدارج السالكين ١/ ٢٦٨ ــ ٢٦٩) .

(٢) سورة البقرة آية ٨٥ . (انظر المزيد من الردود على غلاة الصوفية في الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية صـ٥١ ــ٥٣، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابونى صـ٢٨٥ ــ٢٨٦) وغيرها من المراجع في تلك القضية .

(٣) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٤) سورة نوح الآيات ١٠ ــ ١٢ .



ـ تعرب عن أن الأعمال الصالحة مؤثرة في مصير الإنسان، وأنه يقدر بعمله الصالح على تغيير القدر وتبديل القضاء غير المبرم [١] .

ـ كما كان معتقدهم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أوردوا أن الصدقة والاستغفار والدعاء وما شابه ذلك يغير التقدير . وما هذا إلا لأن التقدير لم يكن تقديرًا قطعيًا، بل تقديرًا معلقًا على عدم الإتيان بصالح الأعمال أو بطالحها .

إذن : كان معتقدهم أن الدعاء يرد القضاء ويصرف البلاء المقدر [٢] .

وروي الكليني بسنده عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : " إن الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبرامًا " [٣] .

وقال الإمام أبن الحسن موسى الكاظم [٤] :" عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعى الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفه " [١] .

---

(١) انظر : الدعاء حقيقته آدابه آثاره للأستاذ على موسى الكعبي ص ٧ : ٨ .

(٢) وذلك تبعًا لمعتقدهم في أفعال العباد .

(٣) الكافي جـ٢ ص١٦٩ باب أن الدعاء يرد القضاء الحديث (١) .

(٤) موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨هـ : ١٨٣هـ) أحد أعلام المسلمين، والإمام السابع عند الشيعة الإثنا عشرية، والده هو الإمام جعفر بن محمد الصادق أحد فقهاء الإسلام، قضى جزءاً من حياته في السجن، وعاصر فترة حساسة من تاريخ المسلمين . كنيته أبو إبراهيم وأبو الحسن، ومن ألقابه : الكاظم والعبد الصالح وباب الحوائج وسيد بغداد (سير أعلام النبلاء ـ الطبقة الخامسة جـ٦ص ٢٧١) .



وقال الإمام زين العابدين [٢] : " الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل " [٣]، وعنه ﷺ : " إن الحذر لا ينجي من القدر، ولكن ينجي من القدر الدعاء" [٤] .

وبناء على معتقدهم السابق كان جوابهم عن هذا السؤال إن تغيير مصير الإنسان بالدعاء وغيره من أعمال البر يقتضي التغيير فيما قدره الله تعالى في علمه الأزلي وذلك يعني تغيير علمه الأزلي، وهو محال فكيف هذا ؟ فقالوا إن الله عالم بمصير الأشياء كلها غابرها وحاضرها ومستقبلها، استدلالاً بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٥] .

---

(١) الكافي جـ٢ ص ٧/٤٦٩ وص ٤٦٨/ ٤ وص ٤٧٠/ ٦ وص ٤٧٠/ ٨ باب إن الدعاء يرد البلاء (٨) .

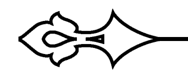
(٢) هو : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد في المدينة ٣٨هـ، اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم وله عدة ألقاب منها ذو الثفنات وزين الصالحين ومنار القانتين، توفى في ٢٥ محرم سنة ٩٥هـ ودفن في البقيع إلى جانب قبر عمه الحسن بن علي عليهما السلام (سير أعلام النبلاء : الطبقة الثانية الجزء الرابع ص ٣٨٧) .

(٣) الكافي ٢/ ٤٦٩/ ٧ .

(٤) البحار : ٩٣ / ٣٠٠ / ٣٧ . كنز العمال : ٣١٢٣ .

(٥) سورة آل عمران آية ٥ .







وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم : " لم يزل الله عالمًا بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء " [١]، وإن لعلمه سبحانه وتعالى مظاهر عبر عنها في الكتاب الكريم،منها أم الكتاب، وهذا المظهر يعبر عن علمه الأزلي المحيط بكل شيء والذي هو عين ذاته لا يتطرق إليه التغيير قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢]، والمظهر الآخر من علمه سبحانه وتعالى هو المعبر عنه بلوح المحو والإثبات، ولله تعالى فيه المشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء حسب ما تقتضيه حال العباد من حسن الأفعال أو قبحها، وفي هذا اللوح يكتب التقدير الأول، ولكنه يعلق بتحقق شرطه أو زوال مانعه . وهذا التغيير لا يمس كامل علم الله سبحانه وتعالى والظهور بعد الخفاء هو بالنسبة لنا لا إلى علمه تعالى وذلك كالنسخ في التشريع [٣] .

(١) الكافي : ٨٣ / ٤ .

(٢) سورة الزخرف آية ٤ .

(٣) الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره لموسى الكعبي ص ١١٠ باختصار، انظر أيضًا الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف للشيخ جعفر السبحاني المجلد الثالث القضاء والقدر (وفي الحقيقة أن هذا هو قول علماء الإمامية (الأثنى عشرية) الذين يقولون بالبداء ويرون أنه لا يناقض أزلية علم الله وإنما هو بمنزلة النسخ في التشريع (انظر: عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص ٥١، وأوائل المقالات ص ٥١ للشيخ مفيد آل كاشف الغطاء أصل الشيعة وأصولها ص ١٤٨ ــ ١٤٩) وفي العموم فإن الإمامية قد أخذوا القول بالبداء عن الغلاة حيث أكد ذلك كامل مصطفى الشيبي " أن البداء عند معتدلي الشيعة من عقائد الغلاة الأولى وأخذها الشيعة المعتدلون وهذبوا حواشيها وقووها بالمنطق والكلام " الصلة بين التصوف والتشيع



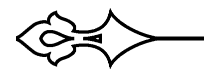


وفي الحقيقة ـ قد يتوهم البعض انخداعًا ـ أنهم في تفسيرهم للعلم الإلهي قد يكونون على الصواب، وأنهم قد وافقوا فيه جمهور علماء المسلمين، ولكن في الحقيقة ـ ما ذهبوا إليه من استدعائهم للآيات والأحاديث التي بها دلالة واضحة على تغيير القضاء المعلق وآثار الدعاء وغيره إنما هو لإثبات عقيدتهم الباطلة وهو القول بالبداء [1] على الله سبحانه وتعالى وهو قول غلاتهم [2] وهذا ما أكده صاحب بحار الأنوار حين قال :" إن أئمة أهل البيت بالغوا في البداء ردًا

ص ١٠٤ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية . ودائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ ص ٤٣٨ جولد زيهر مقالة عن البداء (إصدار أحمد الشنتاوي إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس .

(١) جاء في لسان العرب بدأ الشيء أي ظهر والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غير جائز (ابن منظور ص ٢٣٤ مادة بدا) وورد في التعريفات أن "البدء ظهور الرأي يعد أن لم يكن، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى (السيد الشريف الجرجاني ص ٣٦) والشهرستاني يذكر أن البداء على الله له معان : البداء في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم . ويعقب على ذلك بقوله : ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد والبداء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك (الملل والنحل جـ١ص ١٤٨ ــ ١٤٩) .

(٢) وأول من قال بالبداء المختار بن أبي عبيد (الملل والنحل جـ١ص١٤٨ــ ١٤٩) والبدائية من غلاة الشيعة يذهبون مذهب هشام بن الحكم في القول بأن علم الله لا يتعلق إلا بالموجود، وأنه لا يعلم شيئًا حتى يكون وهذا القول يستتبع الجهل بالأشياء قبل وقوعها والأخذ بهذا الرأى يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثر بحدوث أشياء جديدة وأنه تعالى يغير إرادته (دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩) .




على اليهود الذين قالوا :" إن الله لما خلق الأشياء وقدر المقادير، تم الأمر وخرج زمام التصرف الجديد من يده بما حتمه من القضاء، فلا نسخ ولا استجابة بالدعاء ؛ لأن الأمر مفروغ منه [1] فغلاة الشيعة قد قالوا صراحة بالبداء الذي يغاير إرادة الله والذي يستتبع جهل الله سبحانه وتعالى بالأشياء قبل وقوعها وهذا هو ما وقع عند اليهود [2] .

---

(١) المجلسي جـ٤ص ١٣٠ .

(٢) حيث ورد في سفر التكوين " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء حزنت أني عملتهم (الصحاح السادس ٧ ــ٨) ولا شك أن تأسف الرب وحزنه على ما فعل الإنسان يعكس أنه تعالى ما كان يعلم بما سيحدثه الإنسان، ولذلك فقد قرر الندم على هذا الخلق وأراد أن يمحوه وهو قول بالبداء الصريح تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وبهذا النص وغيره قد اتضح الاقتباس والتأثر من قبل غلاة الشيعة (راجع : الشيعة والسنة لإحسان إلهي ص ٥٥) .


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



الخلاصـــة

بعد الانتهاء من البحث في فائدة الدعاء والقضاء والقدر، وهي عقيدة الركن السادس في الإسلام وهذه العقيدة الربانية ـ القضاء والقدر ـ مبنية على الرضا واليقين بما عند الله تعالى، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١)، وأيضًا هذه العقيدة تحقيقًا لقول خير الأنام ﷺ :" يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء، قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (٢) .

هذا ما ألجأنا إلى عرض تلك الحقائق أو القضايا باختصار غير مخل . وذلك كحقيقة علم الله سبحانه وتعالى وإرادته وقدرته الذي وقع فيها الخلاف على أشده مما أدى ببعض الفرق الخروج عن جادة الحق حين نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى عدم تعلق علمه ببعض الأمور الحادثة، بل أدى بهم الأمر إلى القول بوجود أفعال خارجة عن إرادة الله وقدرته، وذلك كما فعل بعض المعتزلة حينما تناولوا معالجة ـ على حد زعمهم ـ نظرية السببية وأفعال العباد .. ـ أيضًا ـ ما عرف بجبر غلاة الصوفية الذي أفضى بنا إلى جعل الإنسان كالريشة في مهب الريح تحركها كيفما شاءت،

---

(١) سورة الحديد آية ٢٢ .

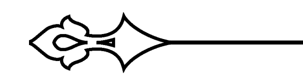
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ـ باب ٥٩ رقم ٢٥١٦، وقال حسن صحيح .

وساوت بين الطائع والعاصي وغير ذلك مما يترتب عليه من إسقاط أمر التكاليف وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وهذا بطبيعة الحال ما يسمى إنكار معلوم من الدين بالضرورة، رغم تضافرت الأدلة بأنواعها المتعددة على ثبوت تلك الحقائق الدينية واليقينية .

أيضًا فريق آخر ـ كغلاة الشيعة ـ الذين استغلوا الأمر خدمة لإثبات عقيدتهم الباطلة المنحولة ألا وهي عقيدة البداء، خدمة لآرائهم الخارجة عن الإسلام، والحق الذي لا يشوبه شك أن علم الله ـ تعالى ـ علمًا أزليًا مبني على الإحاطة والانكشاف، وهذا لا يعني الجبر، فعلم الله لا يخفى عليه شيء صغيرًا كان أو كبيرًا في الأرض أو في السماء، إذ هذا العلم ليس موجبًا بنفسه لوجود المعلوم بل هو مطابق له على ما هو عليه، وقد سبق في علمه هذا ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم .

والأمر في شأن الإرادة بأنها إرادة نافذة ومخصصة للأشياء بنوعيها الكونية منها والشرعية . وهذا لا يستلزم تعدد الإرادة، ولكنها قد تكون كونية لكائن وابتلائية تشريعية لآخر .

ـ وبنفس المنهجية كان الانطلاق إلى صفة القدرة باعتبارها مكون من مكونات الإيمان بالقضاء والقدر . وإثبات قدرة مطلقة لله سبحانه وتعالى، ومعالجة قضية السببية بما يتناسب مع دلالات الآيات القرآنية، وهو أنه اقتضى عدله سبحانه وتعالى وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب، فكلما أخذ الفرد بالسبب الذي يوجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته سبحانه كلما وصل إلى مبتغاة، وما الدعاء إلا سببًا من الأسباب التي سخرها الله سبحانه وتعالى لعباده وأمرهم بالأخذ بها .





وهذه الأسباب المادية منها والروحية لا تعمل بنفسها بل بتوجيه وتوفيق من الله سبحانه لعباده أن يلهمهم الأخذ بها والاهتداء إليها، وهذا هو الفارق بين المشرك الذي يأخذ بالأسباب فتعطيه نتائجها وبين المسلم الذي يأخذ بالأسباب ولكن لا يعلق قلبه بها بل بمسبب الأسباب تبارك وتعالى، وهذه هي حقيقة التوكل، وهي التي تجسدت في عمل النبي ﷺ يوم الهجرة حيث أخذ بكل أسباب الحيطة والحذر للتوجه إلى المدينة بعيدًا عن نظر المشركين، ولكن حينما انقطعت به الأسباب تدخلت حينئذ عناية مسبب الأسباب وهي معية الحفظ والنصر والتأييد والمدد تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (١) .

فيكون شأن الدعاء ما هو إلا قضاء سابق في علمه الأزلي، حيث يدفع القضاء بالقضاء والقدر بالقدر .

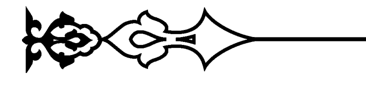
أما أهم نتائج وتوصيات البحث هي :

أولاً : أهم النتائج :

١ ـ من خلال ما ورد من معالجات في البحث أن الحل الحاسم لمسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والدعاء وما على شاكلته متضمن في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فإذا بالأمور واضحة والقضايا بيّنة ؛ لأن التضارب قائم في فكر الفرق ـ كما رأينا ـ وليس في الأدلة النصية .

٢ ـ عني القرآن الكريم بموضوع الدعاء وأكثر من طلبه في كثير من آياته، وكذلك السنة النبوية الصحيحة، بل أكدت السنة على كونه الركن السادس في الإسلام، وما هذا إلا دلالة صحة وثبوت ـ أيضًا ـ في حقه .

(١) سورة التوبة آية ٤٠ .





٣ ـ تبين أن القضاء والقدر عقيدة تتعلق بالعلم والإرادة والقدرة فكل ما كان وما يكون وما سيكون، إنما هو بخلق الله سبحانه وتعالى وبعلمه الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل، وبإرادته التي لا يغلبها مغالب، وبقدرته المطلقة إذ هو القاهر فوق عباده، فجميع الخلائق مقهورون بقدرته، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (١) .

٤ ـ أن هناك إرادتين إحداهما كونية والأخرى شرعية ابتلائية، وهذا لا يعني تتعدد الإرادة وإنما هي واحدة كصفة لله سبحانه . فالأمر الإلهي واحد ولكنه يكون كوني لكائن وابتلائيًا لآخر، وهذا يزيل بالطبع ما قد يشكل على البعض من عدم رد القضاء وكونه مبرمًا على الإطلاق .

٥ ـ حقيقة ربط الأسباب بالمسببات انتهت بنا المعالجة بأنه قد اقتضى عدله سبحانه وتعالى وحكمته وعلمه أن يرتب خروج الأشياء على الأسباب، وأنه كلما أخذ الفرد بالسبب الذي وجهنا الله إليه وربط ذلك بمشيئته سبحانه وتعالى وأيقن بأنه المؤثر الحقيقي وصل إلى الحق والصواب .

٦ ـ للإنسان مشيئة يختار بها وقدرة يفعل بها، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله، واقعتان بها، وعلى العبد أن يسعى في تحصيل مصالحه الدنيوية، ويأخذ بالأسباب المشروعة فإذا حصل على مراده حمد الله على توفيقه لذلك، وإن أتت الأمور على خلاف مراده وراجع نفسه فيما أخفق فيه من الأسباب وطلب العون من الله، وما الدعاء إلا وسيلة من وسائل طلب العون .

---

(١) سورة القمر آية ٤٩ .



فالدعاء أمره عظيم وشأنه جلل به يرد القضاء، وبه يرفع البلاء، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وهو من الغرائز البشرية العليا التي لابد أن يلجأ إليها الإنسان .

٧ ـ العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده ليست علاقة عناية منذ البدء ثم انقطاع بعد تدوين المقادير، وإنما الأمور تنزل من السماء إلى الأرض بناء على سلوك العباد وأفعالهم الاختيارية ودعائهم. لذا فالعلاقة ليست بين الخلق وبين القدر، أو بين الخلق وبين الدهر وإنما هي بين الخلق وبين ربهم .

٨ ـ تعدد التدوينات المنتهية بالتقدير اليومي الذي ينظر فيه الله فيمحو منه ما يريد ويثبت منه ما يشاء، بناء على ما يرفع إليه سبحانه وتعالى من أعمال العباد وأدعيتهم، وهذا لا ينفي حتمية القدر، ولا يعني نسبة التغيير في المشيئة أو نسبة النقص إلى العلم الإلهي، وذلك لأن ما حدث من تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب .

٩ ـ الدعاء وإن كان سببًا من الأسباب التي نستعين بها لتحقيق أمانينا في الحياة الدنيا إلا أن ذلك قد يكون ظاهريًا ـ فقط ـ لأنه في الحقيقة هو قدر سابق أعده الله سبحانه وتعالى في علمه الأزلي، فيكون القضاء قد دفع بالقضاء والقدر بقدر مماثل، ونكون قد وضعنا أيدينا على حقيقة فائدة الدعاء بالقضاء .

ثانيًا : التوصيات :

١ . أوصى نفسي وأوصي كل باحث يبحث في مسألة ما، وخاصة الموضوعات الشائكة أن يبدأ بحثه من القرآن الكريم والسنة النبوية بالمنهج العقلي الصحيح ؛لأنه عندما يصل إلى نتائج صحيحة ومؤكدة،



فإنه يكون قد ملك بيديه النور الساطع الذي يستطيع أن يكشف به الحق من الباطل، والغث من السمين في آراء ومذاهب وفكر البشر، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وكفى بالله عاصمًا من الضلال .

٢ ـ كما أوصي نفسي وأوصي جميع المسلمين أن يستعينوا بكل الوسائل الروحية المتاحة لهم من قبل الحق سبحانه كالدعاء ليحققوا أمانيهم في الحياة الدنيا، وينالوا رضا الله سبحانه وتعالى في الحياة والآخرة، وأنه لا نجاة ولا خلاص ولا نفع ولا ضرر إلا من قِبل الحق سبحانه وتعالى .

هذه هي أهم النتائج وبعض التوصيات فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان منه، اللهم إني أسألك أن تجعل هذا البحث خالصًا لوجهك الكريم، وأن تنفعني به والمسلمين في الدارين، وأن تجزي من سدد وصوب فيه وأعانني على إعداده خير الجزاء إنك على كل شيء قدير آمين .

د / أسماء حسن أبو عوف



ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

١ ـ إتحاف السادة المتقين للزبيدي .

٢ ـ الإسلام والعقل د/ عبد الحليم محمود .

٣ ـ أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسن آل كاشف الغطاء، نشر الدار الإسلامية للطباعة، المنصورة ١٩٨٢م .

٤ ـ الإشارات والتنبيهات ـ ابن سينا ـ تحقيق د، سليمان دنيا ط دار المعارف ١٩٦٠م .

٥ ـ إحياء علوم الدين ـ الإمام أبو حامد الغزالي، دار الكتاب العربي .

٦ ـ آيات الدعاء في القرآن الكريم (الدعاء والقضاء والقدر) د / محمد محمود أحمد، د/ موسى الخطيب . أربع أجزاء، مركز الكتاب للنشر ط أولى ١٩٩٩م مطابع آمون .

٧ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ، تحقيق وتعليق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث ـ القاهرة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ المجلد الأول وبه جزئين الأول والثاني .

٨ ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ الإمام أبو حامد الغزالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .

٩ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ـ ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم جـ٢، ط٢، نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة .



١٠ ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد للخياط المعتزلي، تحقيق وتعليقات د/ نيبرج ـ مكتبة الكليات الأزهرية، دار الندوة الإسلامية، طبعة ١٩٨٧م ـ ١٩٨٨م ـ بيروت ـ لبنان .

١١ ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الملقب بالمفيد، تعليق الزنجاني، ط ٣ لسنة ١٣٩٣هـ ـ الطبعة الحيدرية، النجف .

١٢ ـ إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عجيبة الحسني ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع .

١٣ ـ بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسى، تم إعداده من قبل المجمع العالي لأهل البيت، دار الكتب الإسلامية جـ٤ .

١٤ ـ تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ط أولى ١٩٣١م ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

١٥ ـ تبصرة الأدلة في أصول الدين . أبو معين النسفي الماتريدي ـ تحقيق كلود سلامة، ط قبرص، دار الجفان للطباعة .

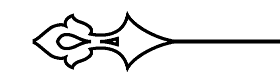
١٦ ـ التعريفات . على بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

١٧ ـ تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري، المجلد الثاني جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م منشورات محمد علي بيضون، وطبعة دار الغد العربي .

١٨ ـ تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ ابن كثير، ٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ ـ تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، عبد العزيز غنيم، طبعة الشعب .







١٩ ـ تفسير معالم التنزيل ـ الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ت ٥١٦هـ، إعداد خالد عبد الرحمن العلي، مروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان .

٢٠ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد ـ لإبراهيم البيجوري ط الحلبي ١٣٨٥هـ ـ ١٩٣٩م .

٢١ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة .

٢٢ ـ تنبيه الغافلين ـ السمرقندي .

٢٣ ـ التعليقات ـ لابن سينا، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي ط ١٩٧٣م .

٢٤ ـ تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية ـ بيروت .

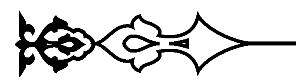
٢٥ ـ تهافت الفلاسفة ـ الإمام أبو حامد محمد الغزالي، قدم له وعلق على حواشية د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، وطبعة دار المعارف .

٢٦ ـ التمهيد في الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ـ القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، تحقيق د/ محمود محمد الخضيري، د / محمد عبد الهادي أبو ريدة ط دار الفكر العربي ١٩٤٧م .

٢٧ ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ـ الشيخ محمد أمين الكردي الإربلي ت ١٣٣٢هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٢٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري بن عربي القرطبي ـ تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٢٩ ـ جامع الترمذي " كتاب تفسير القرآن " .





٣٠ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ـ ابن القيم الجوزية، ضبطه وعلق عليه د/ السيد الحميلي، دار ابن زيدون،، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٣٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ جولدزاهير، مجلد ٣ ـ مقالة عن البداء إصدار أحمد الشنتناوي .

٣٣ ـ الداء والدواء ـ محمد بن أبي بكر أيوب بن القيم الجوزية، مكتبة الصفا ط أولى ٢٠٠٢م .

٣٤ . الدرة البهية شرح القصيدة التائبة في حل المشكلة القدرية ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٦هـ .

٣٥ ـ الدعاء للإمام الطبراني ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلمية .

٣٦ ـ الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره للأستاذ على موسى الكعبي، سلسلة المعارف الإسلامية، الناشر مركز الرسالة ط أولى ١٤١٩هـ ـ مطبعة مهر ـ تم إيران .

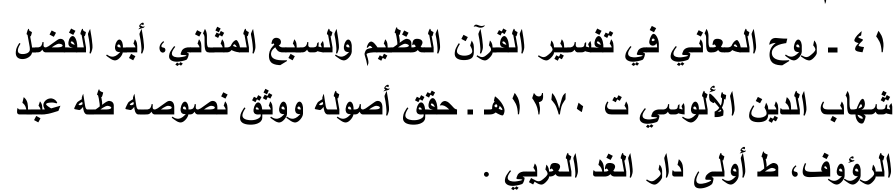
٣٧ ـ الدين الخالص ـ محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري (ت ١٣٠٨هـ) إصدارات وزارة الأوقاف الإسلامية، طبعة أولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

٣٨ ـ رسائل الفارابي ـ الفارابي .

٣٩ ـ الرسالة القشيرية ـ أبو القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق وإعداد معروف زريق وعلى عبد الحميد بلطجي ط ٢ دار الجيل، بيروت .



٤٠ ـ الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، صححه واعتنى به وعلق عليه أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة قرطبة .



٤١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ت ١٢٧٠هـ . حقق أصوله ووثق نصوصه طه عبد الرؤوف، ط أولى دار الغد العربي .

٤٢ ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، نشر دار الكتب العربي ـ بيروت .

٤٣ . سنن ابن ماجة للإمام ابن ماجة، دار الريان .

٤٤ . سنن الترمذي . أبو عيسى الترمذي، ط الحلبي .

٤٥ ـ سير أعلام النبلاء ـ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (٦٧٣ـ ٧٤٨) تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة ط الرابعة ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .

٤٦ ـ السيرة النبوية للشيخ عبد المقصود نصار، الشيخ الطيب النجار .

٤٧ ـ شرح الإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري ـ تحقيق د/ رضا نعسان معطي، ط١ سنة ١٤٢٣هـ، دمشق .

٤٨ ـ شرح السنة لمحبي السنة ـ أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى ٥١٦هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ـ محمد زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي .

٤٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ أبي جعفر الطحاوي شرحها الإمام القاضي على بن أبي العز الحنفي الدمشقي ـ تحقيق عبد الرحمن الزواوي، دار الغد الجديد، ط الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

٥٠ ـ شرح العقيدة الوسطى ـ محمد بن يوسف السنوسي .



٥١ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ) ـ تحقيق د/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط السنة ١٤٠٩هـ .
٥٢ . شرح الأصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، ت ١٤١٥هـ ـ تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ـ تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي على هاشم ط مكتبة وهبة ط أولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .
٥٣ ـ شأن الدعاء ـ الخطابي ت ٣٨٨هـ، المحقق أحمد يوسف الدقاق، الناشر دار الثقافة العربية، ط الأولى ١٩٨٤م والطبعة الثالثة ١٩٩٢م .شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ـ ابن القيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبد الله ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة .
٥٤ ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ـ الشيخ عبد الله الغنيمان .
٥٥ ـ شرح المقاصد . الإمام / سعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق د/ عبد الرحمن عميرة، تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى شرف جـ٢، جـ٤، عالم الكتب ـ بيروت، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
٥٦ ـ شرح المواقف للشريف الجرجاني، تحقيق د/أحمد المهدي، ط مكتبة الأزهر .
٥٧ ـ شرح النووي لصحيح مسلم ـ الإمام محي الدين بن شرف النووي، نشر إحياء دار التراث العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ وط دار الفكر .
٥٨ ـ الشيعة والسنة ـ إحسان إلهي ظهير، مطبعة التقدم توزيع دار الأنصار، القاهرة ١٩٧٩م .
٥٩ ـ الصحاح ـ أبو نصر إسماعيل بن جمال الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م .



٦٠ ـ صحيح البخاري ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة .

٦١ ـ صحيح مسلم ـ الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .

٦٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) ط البابي الحلبي .

٦٣ ـ طبقات المعتزلة . ابن المرتضى .

٦٤ ـ عدة الداعي ونجاح الساعي ـ الشيخ أحمد بن فهد الحلي، تحقيق أحمد الموجدي القمي، مكتبة الواجداني بقم .

٦٥ـ عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر، طبعة المطبعة العالمية، القاهرة ١٩٧٣م .

٦٦ ـ العقيدة الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة .

٦٧ ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني .

٦٨ ـ عقيدة المؤمن . أبو بكر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم والحكم، توزيع مكتبة الصفا، ط الأولى ١٤٢٣هـ، مطابع دار البيان الحديثة ٢٠٠٢م .

٦٩ ـ عون المريد لشرح جوهرة التوحيد ـ عبد الكريم ثنان، ومحمد الكيلاني، دار البشائر .

٧٠ ـ فتناوى العقيدة ـ الشيخ عطية صقر، موقع وزارة الأوقاف .

٧١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني، ط الريان، القاهرة، طبعة دار المعرفة ـ بيروت .

٧٢ ـ الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لبن حجر العسقلاني .





٧٣ ــ الفتوحات المكية ــ لمحي الدين بن عربي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ) تحقيق وتقديم د/ عثمان يحيى ومراجعة د/إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٤ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ـ الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر محمد علي ـ صبيح، القاهرة .

٧٥ ـ الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، حققه وعلق علي حواشيه ووضع فهارسه جمال عبد الغني، مؤسسة الرسالة، ط ١ ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م .

٧٦ ـ الفصل في الملل والنحل ـ الإمام محمد على بن أحمد بن حزم، ط أولى ١٣٢٠هـ .

٧٧ ــ فضائل الذكر والدعاء ــ محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) عنيت بنشره والتعليق عليه مكتبة التراث الإسلامي .

٧٨ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ .

٧٩ ـ قصة الفلسفة الحديث د/ زكي نجيب محمود، أ / أحمد أمين .

٨٠ ــ القضاء والقدر في الإسلام د/ فاروق أحمد الدسوقي ثلاثة أجزاء ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع .

٨١ ـ كتاب الأربعين في أصول الدين ـ الإمام أبو حامد الغزالي، طبعة دار الجيل، بيروت .

٨٢ ـ كتاب الدعاء د/ محمد السيد طنطاوي ط مجمع البحوث الإسلامية



٨٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (وهو تفسير القرآن) جاد الله الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادي، الناشر مكتبة مصر .

٨٤ ـ كنز العمال .

٨٥ ـ لسان العرب ـ محمد بن عبد الكريم بن منظور، دار الفكر، وطبقة دار صادر، بيروت .

٨٦ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ـ العلامة محمد بن أحمد الفارابي النابلسي الحنبلي، المكتبة الاصلاحي، ط ٣ سنة ١٤١١هـ، ط٢ المكتب الإسلامي ـبيروت ١٤٠٥هـ .

٨٧ ـ مجلة المنار، الإمام محمد رشيد رضا، المقالة السابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التعهليل والتأويل، النوع الحادجي عشر : استجابة الدعاء .

٨٨ ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمدبن قاسم، مكتبة المعارف، المدينة المنورة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٨٩ ـ المحيط بالتكليف، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ـ تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة د/ أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للطباعة، م ١ بدون تاريخ طبع .

٩٠ ـ مدارج السالكين، أبو بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حققه محمد حامد الفقي، دار الغد الجديد ط أولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٩١ ـ المدخل إلى تنمية الأعمال، لابن الحاج ت ٧٣٧هـ نشر دار التراث، القاهرة .

٩٢ ـ مذكرات التوحيد للسنة الرابعة، الشيخ صالح موسى شرف .



٩٣ ـ مسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٣٧٧هـ .

٩٤ ـ المصباح المنير، للفيومي، الناشر المكتبة العلمية ـ بيروت عدد الأجزاء ٢ .

٩٥ ـ المطالب العالية، فخر الدين الرازي ـ تحقيق د/ أحمد حجازي السقا .

٩٦ ـ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس ـ تحقيق وضبط عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل ط ١ سنة ١٤١١هـ .

٩٧ ـ معجم المؤلفين، عمر كحالة، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ .

٩٨ ـ مفاتيح الغيب (المشتهر بالتفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الغد العربي، ط أولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

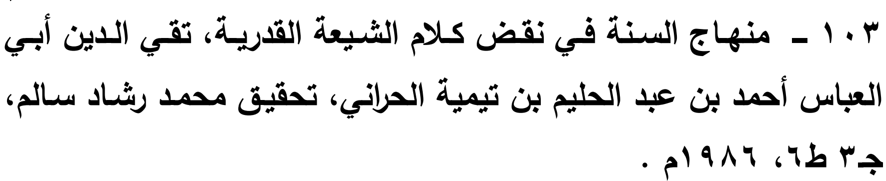
٩٩ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبرى زاده ـ تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، نشر دار الكتب الحديثة .

١٠٠ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد خليل عنياني، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ط أولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

١٠١ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣هـ) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

١٠٢ ـ الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد الكيلاني، القاهر ١٩٦١م .





١٠٣ ـ منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، جـ٣ ط٦، ١٩٨٦م .

١٠٤ ـ المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ط دار عالم الكتب .

١٠٥ ـ موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي .

١٠٦ ـ موسوعة الفرق الإسلامية في الميزان، يحيى هاشم فرغلي .

١٠٧ ـ نظرات في العقيدة الإسلامية د/ الأنور حامد عيسى .

١٠٨ ـ نظرية السببية في الفكر الكلامي الإسلامي ـ د/ عبد العزيز سيف النصر، ط أولى ١٩٨٤م ـ مطبعة الجبلاوي .

١٠٩ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، الناشر المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١١٠ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان، حققه إحسان عباد، دار صادر، بيروت .


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات .

